

Gaylord

PAMPHLET BINDER

Syracuse, N. Y.

Stockton, Calif.

THE LIBRARIES
COLUMBIA UNIVERSITY



المخالف العقليّة

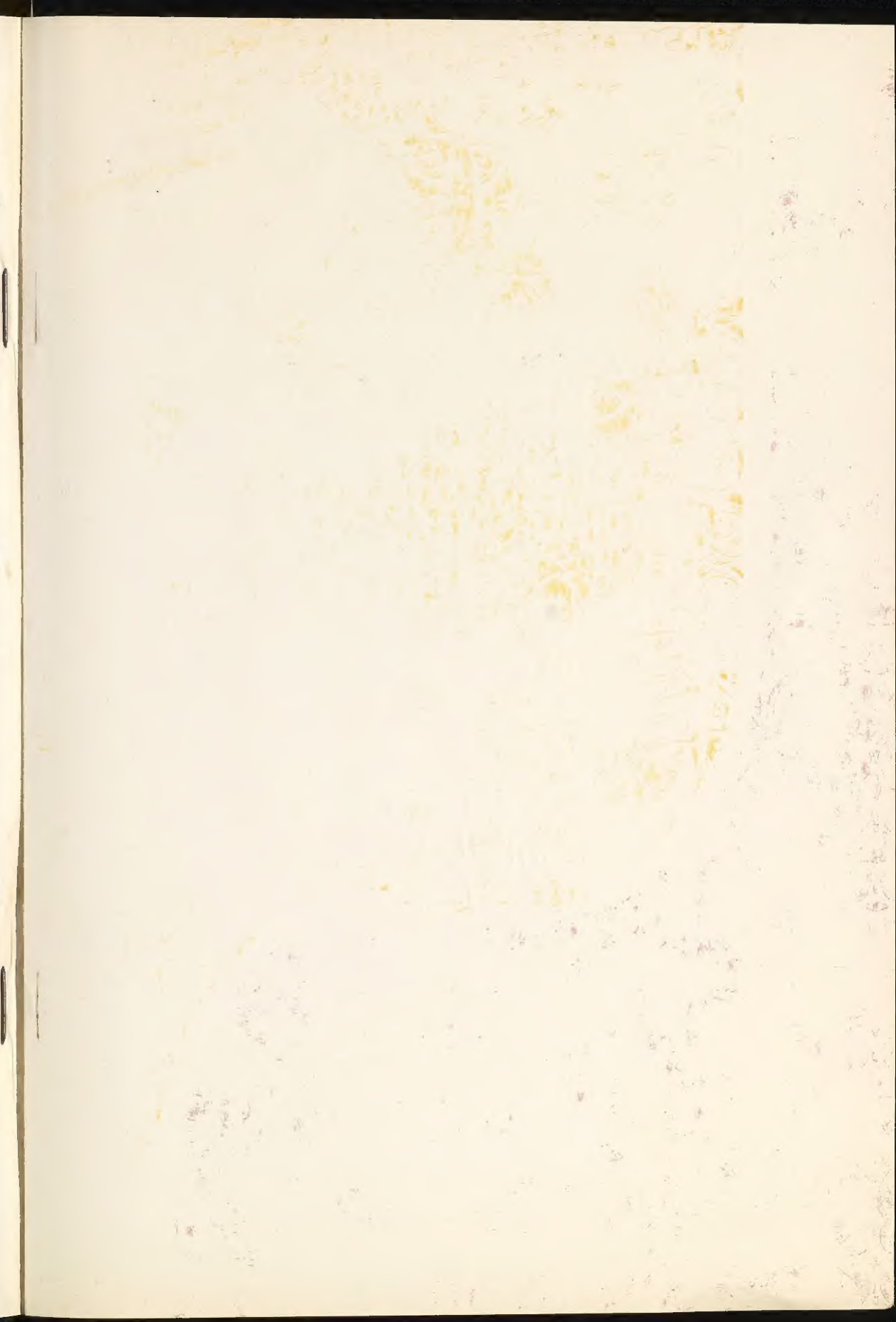
للإمام

أبي حامد الغزالي

حقّقهُ وَقَدَّمَ لَهُ

عبد الكريم العثمان

دار الفكر بدمشق



المَعَارِفُ الْعَقْلِيَّةُ

لِلْإِمَامِ

أَبِي حَامِدٍ الْغَزَالِيِّ

حَقَّقَهُ وَقَدَّمَ لَهُ
عَبْدُ الْكَرِيمِ الْعَثْمَانُ

893.7634

T 33

الطبعة الأولى

١٩٦٣-٥١٣٨٣ م

٥٠٥٧٣ M

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

أين يوضع المعارف العقلية بين كتب الغزالي ؟

بين أيدينا كتاب المعارف العقلية ، وهو من الرسائل التي لم تنشر بعد للإمام الغزالي ، وقد كان هذا الكتاب موضع جدل ونقاش بين الأقدمين ، فقد ذكر البعض أنه من الكتب المضمون بها على غير أهلها ، بينما قال البعض إن ما في الكتاب موضوع للعامة لأنه يصرح في كتب أخرى نص على أنها للعامة بأكثر مما يصرح في هذا الكتاب . وقد أشار ابن طفيل في مقدمة «حي بن يقظان» إلى هذا الجدل ، إذ قال : «وقد ذكر — أي الغزالي — في كتاب الجواهر — يعني جواهر القرآن^(١) — أن له كتباً مضموناً بها على غير أهلها ، وأنه ضمنها صريح الحق . ولم يصل إلى الاندلس في علمنا منها شيء ، بل وصلت كتب يزعم بعض

(١) جواهر القرآن للغزالي وقد طبع في مكة سنة ١٣٠٢ هـ ، وفي بجاي سنة ١٣١١ هـ ، وفي القاهرة سنة ١٣٢٠ و ١٣٢٩ و ١٣٥٢ . انظر مؤلفات الغزالي ، لعبد الرحمن بدوي

ص ١٤٥ وكتاب : Bouyges

Essai de Chronologie des oeuvres de Al - Ghazali P. 50

الناس أنها هي تلك المضمون بها وليس الأمر كذلك . وتلك الكتب هي كتاب المعارف العقلية وكتاب النسخ والتسوية ^(١) ومسائل مجموعة مواها . وهذه الكتب وإن كانت فيها إشارات فإنها لا تتضمن عظيم زيادة في الكشف على ماهو مثبت في كتبه المشهورة ، وقد يوجد في كتاب المقصد الأسنى ^(٢) ماهو أغمض مما في تلك وقد صرح هو بأن كتاب المقصد الأسنى ليس مضموناً به ^(٣) فيلزم من ذلك أن هذه الكتب الواصلة ليست هي المضمون بها ^(٤) .

إن هذه المناقشة التي ثارت بين الأقدمين تتطلب منا أن نلقي نظرة على ترتيب الغزالي لدرجات المعرفة وتصنيفه لمراتب العلوم ، كما تتطلب منا أيضاً أن نلقي نظرة على مقاله في جواهر القرآن ، مما اعتمد عليه ابن طفيل في مناقشته لهذا الموضوع ، وأخيراً لا بد من أن نعرض بشكل موجز لأبحاث الكتاب حتى نرى أين يمكن أن يوضع هذا الكتاب في سلسلة مؤلفات الغزالي .

مراتب المعرفة عند الغزالي

المعرفة عند الغزالي على درجات ومراتب ، ولذلك فإن العلوم تأخذ عنده قيماً مختلفة في تصنيفها أو الحكم عليها .

وقد عرض الغزالي لتصنيف العلوم في مواضع متعددة ، وفي أكثر من مرحلة من مراحل تطوره الفكري ، لذلك فإنه يبدو أحياناً محتدياً حذو من سبقه من الفلاسفة في هذا الموضوع وذلك في المرحلة الأولى من حياته الفكرية ، بينما يبدو في مرحلة النضج وقد كونا لنفسه رأياً خاصاً في المعرفة والعلوم .

أما في مرحلة تأثره بالفلاسفة فقد صنف العلوم إلى علوم نظرية وعلوم عملية ،

(١) ويسمى أيضاً باسم المضمون الصغير .

(٢) المقصد الأسنى شرح أسماء الله الحسنى ، للغزالي .

(٣) انظر جواهر القرآن ص ٥٧

(٤) ابن طفيل ، ص ١١ حي بن يقظان ، مطبعة النيل ١٣٢٢ - ١٩٠٤

تشمل الأولى الرياضيات والطبيعات والإلهيات ، بينما تشمل الأخرى الأخلاق والسياسة وكل ما يتعلق بالحكمة العملية .

أما تصنيفه للعلوم في الإحياء وقد كان أحد كتب ما بعد العزلة أي مرحلة النضج، فقد جاء على أشكال متعددة أهمها: أن العلوم على نوعين أساسيين، علوم المكاشفة وعلوم المعاملة . تختص الأولى بما يتعلق بإدراك ماهيات الأمور والمجردات التي تحتاج عن الحواس ولا تعرف إلا بالكشف ، بينما يتفرع عن النوع الثاني علوم الظاهر التي تختص بالجوارح وعلوم الباطن التي تتعلق بأعمال القلوب والنفوس . ويلاحظ أن علوم المكاشفة في رأي الغزالي مما لا يتهياً لأي إنسان أن يصل إلى مرتبتها لأنها تحتاج إلى استعداد خاص (١) .

وتبدو نزعة الغزالي إلى تمييز بعض أنواع المعرفة وقصرها على الخاصة بصورة واضحة في جواهر القرآن، وهذا ما أشار إليه ابن طفيل حين أشار إلى الجدل حول كون المعارف العقلية من كتب العامة أو من كتب الخاصة . ولذلك فالتنا منقطف عند ما كتبه في الجواهر وقفة خاصة .

مع جواهر القرآن :

كان الغزالي يتحدث في الجواهر عن علوم القرآن وما يتعلق به من معارف، فذكر أن « مجامع ما تنطوي عليه سور القرآن وآياته لا تخرج عن عشرة أنواع وهي : ذكر الذات ، وذكر الصفات ، وذكر الأفعال ، وذكر المعاد ، وذكر الصراط المستقيم ، وذكر أحوال الأولياء ، وذكر أحوال الأعداء ، وذكر محاجة الكفار ، وذكر حدود الأحكام » (٢) .

(١) انظر مقدمة مقاصد الفلاسفة ، ومقدمة الماراج للغزالي ، والإحياء ، ومقدمة كتابنا ، الدراسات النفسية عند المسلمين .

(٢) جواهر القرآن ص ٢١

وانتقل بعد ذلك إلى بيان أن العلوم كلها تنشعب عن هذه الأقسام العشرة ، ولكنها على مراتب وذلك لأن حقائق هذه الأقسام كما يقول الغزالي : لها « أسرار وجواهر ولها أصداف ، والصدف أول ما يظهر ثم يقف بعض الواصلين إلى الصدف على الصدف وبعضهم يقتق الصدف ويطلع الدر » (١) .

أما علوم الصدف في جواهر القرآن فهي : اللغة العربية بفروعها المختلفة ، وأما علوم اللباب فانها على طبقتين ، يطلق على السفلى منها اسم علوم التوابع ، وتشمل : قصص القرآن ، ومحااجة الكفار ، وحدود الأحكام ، وعلوم الكلام والفقه والحديث ... ويطلق على الطبقة العليا اسم علوم اللباب ، وهي تحوي على الأصول المهمة التي تتعلق بالله ، واليوم الآخر ، والعلم بتزكية النفوس « وأشرف هذه العلوم ما يتعلق بالعلم بالله ، وهي على طبقات ثلاث هي : العلم بالذات ، ثم العلم بالصفات ، وأخيراً العلم بالأفعال » (٢) .

وهذه العلوم الأخيرة لا يمكن أن تشرح للناس كافة ، وإنما يتوصل إليها الخاصة الذين تؤلف لهم كتب لا يطلع عليها غيرهم ، وقد أشار إلى ذلك بقوله : « وهذه العلوم الأربعة أعني ، علم الذات ، والصفات ، والأفعال ، وعلم المعاد ، أودعنا من أوائله ومجامعه القدر الذي رزقنا منه ، مع قصر العمر وكثرة الشواغل والآفات وقلة الأعوان والرفقاء بعض التصانيف ، لكننا لم نظهره فإنـه يكل عنه أكثر الأفهام ويستضر به الضعفاء ، وهم أكثر المترسمين بالعلم . بل لا يصلح إظهاره إلا على من اتقن علم الظاهر ، وسلك في قمع الصفات المذمومة من النفس وطرق المجاهدة حتى ارتاضت نفسه واستقامت على سواء السبيل ، فلم يبق له حظ في الدنيا ، ولم يبق له طلب إلا الحق ، ورزق مع ذلك فطنة وقريحة منقادة وذكاءً بليفاً وفيها صافياً .

(١) جواهر القرآن ص ٢١

(٢) جواهر القرآن ص ٢٥-٢٩

وحرام على من يقع ذلك الكتاب بيده أن يظهره إلا على من استجمع هذه الصفات، (١)

نوعان من الكتب :

وينضج لنا من ذلك كله ، أن النزالي أودع ما توصل اليه من معارف وحقائق نوعين من الكتب ، ألف النوع الأول للعامة الذين يستند إيمانهم على الخبر ، وهو لا يصرح لهم فيها بالحقيقة كلها ، بالقدر الذي يطيقونه ، والمقدار الذي يرى أن الشرع كلفهم به ، وألف النوع الثاني من الكتب للخاصة ، وهم العارفون الذين يشهدون الحق دون حجاب ، وكشف لهم فيها عن الحقائق ، ولكنه على ما ذكرنا وضع لقراء هذه الكتب شروطاً خاصة أهمها :

- إتقان علم الظاهر .
- التخلي عن حظوظ الدنيا .
- الاستقامة على سواء السبيل .
- الإعراض عن كل غاية إلا طلب الحق .
- امتلاك قدر معين من الفطنة والذكاء والفريضة النافذة والفهم الصحيح .

مرة أخرى ابن نفع المعارف العقلية ؟

وهنا يحق لنا أن نتساءل مرة أخرى مع ابن طفيل وغيره من المهتمين بفكر النزالي ، هل كتاب المعارف العقلية من الكتب التي ألفها للخاصة ؟ وهل يصرح فيه بما لم يصرح به في غيره من الكتب التي نص أنه كتبها للعامة ؟ إن هذا يتطلب منا أن نلقي نظرة سريعة على هذا الكتاب والمشاكل التي عرض لها فيه .

قدم النزالي للكتاب بذكر الغاية من تأليفه وهي : معرفة حقيقة النطق ، والتمييز بين القول والكلام ، وذلك لأن الله — كما يقول — إنما أبدع الإنسان

(١) جواهر القرآن ٣٠-٣١

ليكون نموذجاً من العالم الكبير وليعبر عنه بالعالم الأصغر ، واشرف ما تميز به
الانسان عن باقي الحقائق إنما هو النطق ، بل إن الإنسانية هي النطق ولكن الكثيرين
لا يميزون بين النطق وبين القول والكلام ، بل يظنون أن هذه الكلمات أسماء لمعنى
واحد . ويرى الغزالي أن الخلط بين هذه المعاني أوقع الكثيرين في أخطاء عديدة ،
كأن يقولوا للباري ناطق ، وللجرم الفلكي قائل ... ولذلك فإنه في هذا الكتاب
يوضح المقصود من كل معنى من هذه المعاني ، حتى يكون ذلك معتمداً لذوي
الألباب ، والحقيقة انه يقصد من وراء ذلك ، التمييز بين الذات الالهية وبسبب
الموجودات ، وخاصة الانسان .

وقد قسم الكتاب إلى خمسة أبواب على النحو التالي :

الباب الأول في النطق

— الثاني — الكلام

— الثالث — القول

— الرابع — الكتابة

— الخامس — الغرض المطلوب

وقد جاء الباب الأول في خمسة فصول : النطق ، ماهية النطق ، في القوة النامية
والمصورة من قوى النفس ، في أن النطق صفة الخلق لصفة الخالق ، في أن
الانسان يكتسب النطق من إفاضة العقل .

أما الباب الثاني فقد تضمن فصلين ، عرض في أولهما للكلام وماهيته وحقيقته ،
وأنه يطلق في حق الباري وفي حق آدميين ، وبين في الفصل الثاني أن الله هو
المتكلم الحقيقي الذي لا انقطاع لكلامه ولا مبدل له ، وأنه لا يتكلم بآلة .

وفي الباب الثالث ثلاثة فصول على النحو التالي : في شرح القول وأنه لطيف
غير ثابت في الهواء ، في غرض القول وحقيقته ، أما ثالث هذه الفصول فإنه
ليبيان أن قول الله عز وجل ليس إلا إفاضة المعاني على العقول بحسب قوتها .

وجاء الباب الرابع في فصلين : الأول في كتابة المخلوقات وحاجة
الانسان إلى ذلك ، والثاني في بيان الكتابة المنسوبة إلى الله تعالى وأحوال كُتبه
ومراتب كتابته سبحانه وتعالى .

وخص الباب الخامس والآخر ، ببيان الغرض المطلوب من الكتاب ، وجعله
في خمسة فصول : عرض في الأول منها للحروف وهل هي قديمة أو حادثة ، وإن
كلام الله صفة ذاته لا تركيب عبارة ، وتناول في الفصل الثاني اختلاف الناس في
العقل والبصيرة والفهم ، وبين في الثالث أن المراد من شرح القول والنطق
والكلام تنبيه الغافلين المرتابين في كلام الله وكتابه والستري إلى تقرير القول في
أشكال الحروف وحقائقها .

أما في الفصل الرابع فقد شرح معنى القدم والقديم ، وبين أن القدم قد يكون
بالزمان ، أو بالشرف ، أو بالمرتبة ، أو بالمكانة أو بالذات . وختم الكتاب بالفصل
الخامس الذي بين فيه بأنه لما رأى اختلاف الناس في حروف كتاب الله قدم تحرير
هذه الفصول ، وذكر فيها من كل شيء مختصراً ، وإن على القارئ أن يتأمل
ما كتب ، لأنه أشار إلى كثير من الأمور بإشارات ورموز لا بد من التأمل فيها
للوصول إلى حقيقتها .

من هذا العرض الموجز لموضوع المعارف العقلية ، نلاحظ أن الغزالي أراد أن
يحدد معاني بعض الالفاظ حين تطلق ويقصد بها الدلالة على الانسان ، أو حين
يراد بها الدلالة إلى الذات الالهية ، وهو في سبيل ذلك يتطرق لعدد من النظريات
والآراء في طبيعة خلق الله ، وإبداعه ، وصلة النفس الانسانية بالعقل ، وصلة العقل
بالله ، كما انه يعرض لبعض المواضيع الكلامية التي عرض لما شابهها في كتب أخرى
كالاحياء ، والاقتصاد في الاعتقاد ، ويفصل التفرقة بين الاسلام والزندقة ، والجامع
الموام عن علم الكلام .

فهل يقدم الغزالي في هذا الكتاب مالا يقدمه في الكتب السالفة الذكر ؟ أو هل هو يعرض هذه المواضيع بأسلوب آخر يخالف حتى نحكم ان « المعارف العقلية » أحد كتبه المضمون بها على غيرها ؟

الواقع أن في كتاب المعارف جزءاً كبيراً مشتركاً بينه وبين كتب أخرى للغزالي ، كما أن فيه بعض المواضيع التي كان يتحرج من ذكرها إلا في كتب خاصة ' طمن أحياناً في صحة نسبتها له .

ولعل من المفيد أن نعرض لآراء هذا الكتاب لنرى إلى أي حد تتفق أو تختلف مع آرائه في كتبه الأخرى . يعتمد الغزالي على حديث ضعفه رجال الحديث وهو « أول ما خلق الله العقل فقال له أقبل فأقبل ، ثم قال له أدبر فأدبر ، ثم قال له وعزتي وجلالي لم أخلق أكرم علي منك .. » . نقول: يعتمد الغزالي عليه لينسادي بفكرة شرف العقل على النفس ، ثم يقول بفكرة تراوج العقل والنفس وإنتاج الهوى نتيجة لهذا التراوج ، فيكون العقل « أول المبدعات والنفس أول المنفعلات والهوى أول المولدات » وتتسلسل الموجودات على هذا الأسس . « فالواحد الكلمة ، والثاني العقل ، والثالث النفس ، والرابع الهوى ، والخامس الطبيعية ، والسادس الجسم ، والسابع الافلاك ، والثامن الأركان الأربعة ، والتاسع المولدات ، والعاشر الانسان » .

أما شرف العقل على النفس فقد قال به عدد من فلاسفة الاسلام واليونان ، كما قال به الصوفية الذين رأوا أن قلب الانسان إما أن يكون مزهراً وذلك حين يتجه يبصره إلى آييه العقل ، وإما أن يكون منكوساً وذلك حين يتعلق بأمه النفس ، ذلك لأن النفس عند الصوفية تمثل العنصر الشهوي الداعي إلى السوء في الانسان .

وأما نظرية تسلسل الموجودات فإن فلاسفة الاسلام واليونان أيضاً عرفوا مثل .

هذه النظرية. وقد كان للفارابي فضل تقديمها بشكل نظرية منتظمة تسمى «نظرية الصدور»، ويشبه تسلسل الموجودات عند الغزالي تسلسلها عند الفارابي .

والسؤال الآن هو ما إذا كان الغزالي صرح بمثل هذه النظرية في كتب أخرى أم لا . . والحقيقة أن الغزالي كثيراً ما أشار في كتبه إلى هذه الفكرة ، إلا أنه لم يصرح بها بمثل هذا الوضوح والتميز إلا في المعارف العقلية ، والمضنونين الصغير والكبير ، ومعارج القدس إلى مدارج معرفة النفس ، وهذه الكتب أشار فيها إلى أنها تحوي إشارات ورموز لا يفهما جميع الناس وأن من الضروري التدبر والتأمل في معطياتها . ولا بد من الإشارة إلى أن هذه الكتب كثيراً ما كانت موضع جدل في صحة نسبتها للغزالي بين القدماء والمحدثين (١) .

● ومن الآراء التي عرضها الغزالي في هذا الكتاب ، نظرية قوى النفس ؛ النباتية ، والغضبية ، والشهوانية ، والعاقلية ، وليس فيها شيء جديد على ما ذكره في كتبه للعامة والخاصة ، فقد عرض هذا الموضوع في الأحياء ، ومعارج القدس ، والمقاصد ، والمقصد الاسنى و ..

● وقد أورد الغزالي في الكتاب أيضاً نظرية الإنسان عالم أصغر ، ومشابهة العالم الإنساني للعالم الكبير إذ هو بالنفس «النباتية يشارك النبات ، والغضبية يشارك السباع ، والشهوانية يشارك البهائم والوحوش ، وهو بالحواس كالطيور وبالوهم كالجان ، وبالخيال كالشياطين ..» وبقواه السبعة كالآفلاك ، وبالأثني عشرة تقبة كالبروج ، وبالعروق والمضلات كالدرج ، وبالمرتين والدم والبلغم كالأركان الاربعة ، التي هي النار والهواء والماء والأرض ، وبالجملة يناسب كل جزء من أجزاء ذاته جزءاً من العالم ، فقلبه وشخصه مثال للعالم السفلي ، وأوصاف روحه وقلبه مثال للعالم العلوي ... »

(١) انظر مقدمة سيرة الغزالي للمحقق . ويؤيد الكتاب السالف ، وعبد الرحمن بدوي مؤلفات الغزالي .

ومثل هذه النظرية توجد أيضاً عند الكثيرين من فلاسفة اليونان والإسلام كما يرددها الكثيرون من رجال الصوفية ، وقد أشار إليها الغزالي في كثير من كتبه ، وصرح بها في معارج القدس والمعارف العقلية ..

● ومما يمرض له في المعارف صلة النفس الناطقة بالبدن ، وأنها قد تكون صلة تدبير وتصريف لأموره ، كما قد تكون صلة تعلق به وهوى له ، هي حينذاك تنحدر عن مرتبتها وتتخلى عن واجبها وأمانتها ، ومثل هذه النظرية يلمح عليها الصوفية ، وهي توجد في كثير من كتبه للعامة والخاصة .

● كما أنه أورد فيه نظريته في العقل ، وأنه يكون أولاً « نفساً مساذجة ، ثم عقلاً غريباً ، ثم عقلاً بالقوة والملكة ، ثم عقلاً بالاكتساب ، ثم عقلاً بالفعل . ويطابق هذا التسلسل لما ذكره في الأحياء في كتاب العقل ، وقد كان وروده هناك بتفصيل أكبر .

● ثم إن الغزالي يذكر فيه عدة آراء في علم الكلام ، فهو يحمل أولاً على الجدل في موضوع كلام الله وصفاته « هذا الجدل الذي يسميه المعتزلة وأتباعها كلاماً فذلك خرافات الحديث وفضلات المنطق ورأس البدعة وأصل الزندقة » ولكنه يقترب من آراء المعتزلة إلى حد كبير حين يعمد إلى تنزيه الله تنزيهاً مطلقاً ويعنع التعمد في صفاته ولكن ذلك يرد في هذا الكتاب بطريقة صوفية أكبر منها جدلية كلامية ، فالله هو « الإله الحق الحق الذي لا كثرة في صفاته ، ولا حد لذاته ، ولا آلة لكلماته » والواجب على العاقل كما يقول : « أن يتأمل ويعلم أن صفات الباري تعالى لا تتعدد ولا ينفصل بعضها عن بعض إلا في مراتب العبارات ، ومدارج الاشارات ، كما إذا أضيف علمه إلى سماع دعوة المضطرين يقال سميع ، وإذا أضيف علمه إلى رؤية كل صغير وكبير يقال بصير ، وإذا نيل منه الرزق فهو رازق ،

وإذا فاض من مكنونات علمه على قلب أحد من الناس بأسرار إلهيته ودقائق
جبروت ربوبيته يقال متكلم . . . »

والحقيقة أن أسلوب عرضه لموضوع الذات والصفات هنا يختلف عن طريقة
عرضه في قواعد العقائد من الأحياء ، والاقتصاد في الاعتقاد ، وغيرهما . وما يقوله
الغزالي في هذا الموضوع أن كلام الله « صفة ذاته ، ولطيفة علمه ، فما أفاض من
كلام علينا يكون حديثاً من قديم برهانه وعظيم شأنه » .

أما كيف يحل مشكلة الحدوث والقدم في كلام الله تعالى فإنه يقول بأن
الله متكلم « بذاته أزلاً وأبداً » وأنه إذا أظهر كلامه على بعض عباد « يكون قائلاً
بنية الإظهار وبسبب الاعتبار » وهو يأخذ هنا بنظرية الأشعرية في الكلام النفسي ،
ولكنه يعرضه بأسلوب مختلف . فإذا أراد الله « أن يتكلم يوحي معاني كلامه إلى
أنبيائه ورسله عليهم السلام ويلقي في قلوبهم نور الوحي بواسطة روح القدس ، حتى
يمر الشارع عن كلام الله سبحانه وتعالى بلسانه ويتكلم ببيانه . كما قال سبحانه :
نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين . والحروف
تقع في كلام الله تعالى عند عبارة النبي عليه السلام فتكون الحروف آلة محدثة .
والكلام صفة قديمة وإذا زالت المحدث لا تزول صفة القديم بزوالها » .

من أجل ذلك كان قول الله تعالى عند الغزالي ليس إلا « إفاضة المعاني على
العقول بحسب قوتها وعلى قدر طاقتها » وهنا تختلف مراتب الناس ، فيكون النبي أو
الولي « فواحد يسمع بصفاء نفسه وقوة عقله صريح القول فيكون صاحب وحي
ورسالة ، وآخر يسمع بقوة فكره وغلبة وهمه فيكون صاحب إلهام وحديث .
وعلى هذه المراتب ، فبعضهم لا يسمع من كلام الله تعالى إلا الحروف ، وبعضهم
يسمع كتاباً منزلاً مجملاً مثل التوراة والإنجيل والفرقان ، ويعلم أنها كلام
الله سبحانه وقوله » .

إن أسلوب الغزالي في عرض هذا الموضوع في المعارف العقلية يختلف — كما قلنا — كثير أعن أسلوب عرضه في كتبه للعامة كالاقتصاد وقواعد العقائد، ويتفق مع أسلوب عرضه في الرسالة الدنية ومشكاة الأنوار وهي من الكتب التي قيل إنه كتبها للخاصة، وكانت ميدان جدل كبير بين القدماء والمحدثين حتى أن ابن تيمية أفاض في نقد مشكاة الأنوار خاصة في رسالة السبعينية .

● ومما يمرض له في الكتاب، النظرية التي تقول باحتجاب النفس عن الحقائق بسبب أغلال البدن وسجنه ، لأنها لا تصبح عقلاً إلا إذ تخلص من هذا الأسر فهذه النفوس الناطقة ، كانت صافية لطيفة مشعة ، لا يمنعها شيء من الحجب والموانع، لكنها لما اتصلت بهذه الاشخاص الترابية ، وتسربت سربال الجسدانية ، وانحصرت في حيز البشرية، احتجبت بحجب الحواس ، واستترت بأستار غلاظ كثاف... إن هذه النظرية معروفة عند فلاسفة الاشراق ، وعند الصوفية ، وقد رمز الغزالي إليها رمزاً وأشار إليها إشارة في الاحياء وغيره ، وصرح بها في المعارف والرسالة الدنية ومشكاة الانوار .

ولا يتسع المجال هنا لإبراز جميع الأفكار التي عرضها الغزالي في المعارف فالنص موجود بين أيدي القراء . وإنما كان مقصدنا هنا تلمس الاسباب التي جعلت البعض يقول بأن هذا الكتاب من كتبه للخاصة وأن نحكم فيما إذا كان ابن طفيل محقاً في أنه ليس فيه ما يوجب وصفه بهذه الصفة . ولقد رأينا عند كل فقرة عرضها مقدار مايؤيد هذه الفكرة أو ينفيها والحقيقة أننا نميل إلى أن هذا الكتاب من كتبه للخاصة ، وذلك لأسلوبه في العرض ، ونصراحتة في تناول بعض المواضيع ، وليس من الضروري أن تكون آراؤه في هذا الكتاب مناقضة لآرائه في الكتب الأخرى وخاصة تلك التي ألفها للعامة ، لأن الحقيقة واحدة ولكن الناس مختلفون ، فما يمكن أن يفهمه أحدهم قد لا يفهمه الآخر . والناس عند الغزالي على مراتب ثلاث :

مراتب الناس عند الغزالي

أ - عوام ، وهم أهل السلامة البله وهم أهل الجنة

ب - وخواص ، وهم أهل الذكاء والبصيرة

ج - ويتولد منها طائفة ، هم أهل الجدل والشغب ، فيتمون ما تشابه من الكتاب ابتغاء الفتنة^(١) ، ولأجل ذلك اختلف أسلوب الغزالي في مخاطبة الناس وذلك بحسب مراتبهم وطبقتهم الفكرية ، ولعل مما يؤكد ما نغفل اليه ما يذكره الغزالي في آخر المعارف من أن « هذا المقدار الذي كتبنا وذكرنا في هذه الأوراق ، نخبه أسرار غير مكتوبة ، وإشارات مكنونة ، ورموز مستورة . عبرنا عن كل سورة بآية ، واغترفنا من كل بحر قطرة ، والعاقل الحر تكفيه الإشارة ، فكم من عاقل كيس ينال الخير من العلم القليل ما لينال الجاهل البليد في جميع العلوم عشر معشارها ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء » ثم يقول « فمليك أيها الطالب الحريص أن تتأمل هذا الكتاب تأملاً طالبا متفكراً ، لاتأمل حسود متعنت متكبر ، حتى ترى المعائب ، وتنجو من الشوائب ، ولا يحل أن يوضع الورد بين الخمر ، ويطرح الدر في فم الخنازير . . . »

المعارف العقلية عند الباحثين :

أشار المرتضى الزبيدي شارح الاحياء إلى كتاب المعارف العقلية ، تحت عنوان « المعارف العقلية ولباب الحكمة الالهية » وقال إنه رجع اليه في جملة ما رجع اليه من الكتب المتعلقة بالعقيدة .

وذكره جميل العظم في عقود الجواهر مرتين : الأولى باسم « رسالة في

(١) القسطاس المستقيم ص ٨٦ وما بعدها .

الفرق بين النطق والكلام»^(١) والأخرى باسم « المعارف العقلية والحكم الالهية»^(٢) وأورده بويج مع الكتب التي لا يشك في نسبتها للغزالي^(٣) ، وأشار إلى الاسماء المختلفة التي أعطيت لهذه الرسالة .

وذكر بروكلمان هذا الكتاب حين ترجم للغزالي تحت عنوان « المعارف العقلية ولباب الحكمة الالهية »^(٤) ،

ووضعة الدكتور بدوي في كتابه مؤلفات الغزالي مع الكتب الصحيحة النسبة للغزالي^(٥) وأشار إلى عدد مخطوطاته وأماكن وجودها في مكتبات العالم .

وقد نشر المستشرق الاسباني داريو كابانيلاس الباب الثالث من هذا الكتاب في مجلة الاندلس مدريد ، ١٩٥٦ ^(٦) .

عناوين الكتاب :

وقد جاء الكتاب بعناوين مختلفة وهي :

المعارف العقلية ولباب الحكمة الالهية

المعارف العقلية والاسرار الالهية

كتاب فيه المعارف العقلية والحكم الالهية

(١) عقود الجواهر ص ٨

(٢) المرجع السابق ص ١١

(٣) بويج ص ٣٧

(٤) بروكلمان الملحق ١ : ٧٤١

(٥) مؤلفات الغزالي ٩٣ - ٩٧

(٦) د د د ٩٦

المعارف العقلية (١)

رسالة في الفرق بين الكلام والنطق والقول (٢)

النسخ المخطوطة التي اعتمدنا عليها في نشر هذا الكتاب :

- ١ — مخطوطة مكتبة ليتون Lytton بجامعة عليكرة ، وهي بعنوان المعارف العقلية ، وقد كتبت بخط تعليق حديث ، عن نسخة كتبت في سنة ٧٢١ هـ ، وعدد الاوراق ٢٥ ورقة ، والمقاس ١٦٠ x ٢٤٠ ملليمتر . ورقم الفيلم ٣٠٢٠ .
- ٢ — نسخة المكتبة التيمورية بدار الكتب في القاهرة ، وهي بعنوان المعارف العقلية ، قد كتبت بخط مغربي حديث . وتقع فيها من الصفحة ١٢٢ الى الصفحة ١٣٧ ، من القطع الكبير ، وعليها تعليقات وشروح حديثة ، وقد كتبت بتاريخ ١٢٥٧ هـ ، عن نسخة قديمة لم يشر إلى تاريخها . وهي إحدى ثلاثة مخطوطات في نفس المجموعة والمخطوطتان الأخريتان هما :

— الذخيرة في علم البصيرة لأحمد بن محمد الغزالي شقيق الإمام الغزالي ، وهو متوفي سنة ٥٢٠ هـ .

— المقصد الاسنى شرح أسماء الله الحسنى للغزالي .

- ٣ — نسخة بلدية الاسكندرية وهي من مجموعة تشتمل على ١٩ رسالة ، والنسخة بعنوان « رسالة في الفرق بين الكلام والنطق والقول » ، وهي في فهرس الفنون المتنوعة و برقم ٣٠٢٤ ج . وبخط قديم دون تاريخ .

وقد أعطينا نسخة عليكرة رمز آ

ونسخة التيمورية رمز بـ

ونسخة الاسكندرية رمز جـ

(١) مؤلفات الغزالي ٩٤

(٢) مخطوط الاسكندرية ، وقد كان إحدى النسخ التي اعتمدنا عليها في نشر الكتاب .

أما عن طريقتنا في تقويم نص المخطوط ، فإننا اعتمدنا على إثبات ما نعتقد أنه النص الصحيح من مختلف النسخ المخطوطة ، وأشرنا في الهوامش إلى اختلافات النسخ ، ولم نحاول التعليق على الآراء والأفكار التي وردت في الكتاب ، وإنما اقتصرنا على تخريج الآثار والأحاديث ، وشرح بعض الكلمات ، واضعين النص بين أيدي الباحثين يفيدون منه ويحلونه ويستنبطون منه ما يهدون إليه .

ولمنا لندرج أن نكون قد وفقنا في تقديم النص الصحيح لهذا الكتاب . مساهمين في نشر تراثنا الإسلامي العتيق، والله نسأل أن يجنبنا الخطأ ويهدينا إلى سواء السبيل .

عبد الكريم العثمان

كتاب المعارف العقلية



بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ ^(١) الإمام الأوحى حجة الحق أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي ^(٢) رحمة الله عليه :

الحمد لله الذي عقل العقل عن تمشيته ^(٣) الاشارة إلى بداية إنيته ، وأخرس الألسن ^(٤) عن تطوية ^(٥) العبارة عن نهاية هويته ، حتى ظل العقل في أول الإبداع أعجز من الحسن في آخر الاختراع ، ورب آبائنا العلويات وأمهاتنا السفليات . إياه نطلب ونزوم ، وله

(١) العارف بالله تعالى في ج (٢) ناقصة من ج

(٣) من مشى ، يقال مشى مشاء ، كثرت أولادها . ويقال مشى إبل فلان مشاء إذا كثرت ، والمشاء النماء . انظر لسان العرب ٢٠ : ١٥٠ ، ولعله يريد أنه تعالى حجب الناس عن الوصول إلى بداية ذاته .
(٤) ألسن في ب .

(٥) تطوية في أ وترطية في ج . والطى تقيض النشور ، طويته طياً وطيةً وطيةً ، واطو لنا الأرض أي قهرها لنا وسهل السير فيها حتى لا تطول علينا . انظر اللسان ١٩ : ٢٤٣ ، ولعله يريد أن الله لم يسهل لنا مسيل الوصول إلى نهاية هويته لحكمة يريد بها .

نصلي ونصوم ، وبه نقعد وتقوم ، وهو الواحد المبدع الموجد
القيوم . وصلواته على سيد المرسلين ، ورحمة رب العالمين ، والمشرف
بالنبوة قبل امتزاج الماء والطين ، والسلام على آله الطيبين الطاهرين
أبد الآبدين .

أما بعد : فإن الله تعالى لما أبدع العالم الروحاني ، وخلق العالم
الجسماني ، اختار الإنسان من سائر^(١) المخلوقات ، وجمع فيه
لطائف^(٢) المصنوعات من المعقولات والمحسوسات ، ليكون
أنموذجاً من العالم الكبير ، وليعبر عنه بالعالم الصغير . ولهذا الكلمة
تفصيل^(٣) يطول شرحه ، ولا يخفى بيانه على سرج^(٤) القلوب ،
ولا يحل وضعه عند من ملكته العيوب^(٥) . وهذا الانسان إنما تميز
من بين الخلائق ، وأوتي^(٦) بيان الحقائق ، بشرف^(٧) النطق ، ومن
لم يعرف حقيقة النطق فليس له من الانسانية إلا الاسم ، ولا من
الصراط المستقيم إلا الرسم .

وإذا كانت الانسانية هي النطق فحسب ، وأكثر الناس تحيروا^(٨)

(١) سائر في ج (٢) لطائف في أ (٣) شرح بدلاً من تفصيل في ج

(٤) المبرجين في ب ، والمشرح من القلوب في ج . وسرج جمع سراج :

أي المصباح الزاهر . (٥) العيوب في أ (٦) اختص في ب

(٧) شرف في أ (٨) يتحيرون في ب ، ويتحرون في ج .

في حال النطق وكيفيته^(١)، بحيث^(٢) أنهم لا يفرقون^(٣) بين الكلام والنطق والقول ، فظنوا^(٤) أن هذه الكلمات أسماء لمعنى واحد . ولو كان الأمر كما ظنوا لجاز أن يقال للباري^(٥) ناطق ، وللجرم الفلكي قائل^(٦) ، وهذا أمر غير مذكور ، فأردنا أن نبين حقيقة هذه الأسماء ، ونفرق^(٧) بين هذه المعاني ، ليكون معتصماً لنوي الأبواب .

وعولت فيه على تأييد مسبب الأسباب ، فانه الجواد الوهاب . وبوبت الكتاب خمسة أبواب ، ليكون سهلاً^(٨) على من سلك هذا الطريق ، واستعنت بالله ، فانه ولي الهداية والتوفيق .

الباب الأول : في النطق .

الباب الثاني : في الكلام .

الباب الثالث : في القول .

الباب الرابع : في الكتابة .

الباب الخامس : في الغرض المطلوب .

(١) ناقصة من ج	(٢) حيث في ج	(٣) يعرفون في ب
(٤) وظنوا في ب	(٥) تعالى في ج	(٦) قائل في أ و ج
(٧) الفرق في ج	(٨) أسهل في ب .	

الباب الأول

في النطق وما يتعلق به

وفيه فصول خمسة :

(١) الفصل الأول

في النطق

وفيه فصول (٣) :

اعلم (٣) أن المطالب الأصلية أربعة :

الأول : مطلب هل ، وهو السؤال عن وجود الشيء .

والثاني : مطلب ما ، وهو السؤال عن ماهية الشيء .

والثالث : مطلب لم ، وهو طلب (٤) العلة .

(١) ناقصة من ب (٣) العبارة د في النطق وفيه فصول ناقصة من ب

(٣) أسعدك الله في ب وأسعدنا الله وإياك في ج (٤) مطلب في ب

والرابع : مطلب أي ، وهو السؤال عن مطلب الشيء الذي يفصلة
عن الجنس المشترك له .

أما مطلب هل ، فعلى وجهين : أحدهما عن أصل الوجود ،
كقوله هل الله موجود ؟ والثاني عن حال الشيء ^(١) ، كقوله هل
الله مرید ؟

وأما مطلب ما ، فأيضاً على وجهين : أحدهما سؤال المتكلم عن
تفسير لفظة ، كما يقال ما العقار ؟ فيقال الخمر . والثاني طلب حقيقة
الشيء في نفسه ، كما يقال ما العقار ؟ فيقال الشراب المسكر المعتصر
من العنب .

ومطلب ما بالمعنى الأول متقدم على مطلب هل . فإن لم يفهم
الشيء لا يسأل عن وجوده . وبالمعنى الثاني متأخر عن مطلب هل .
لأن ما لم ^(٢) يعلم وجوده لا يطلب ماهيته . فبعض الأشياء تستدعي ^(٣)
أولاً إثبات الهيئـة ^(٤) ، ثم الماهية ^(٥) ، ثم اللـمـية ^(٦) .

وغرضنا خارج عن مطلب الهيئـة ، فانه لا يقال للنطق هل هو ؟

(١) ناقصة من أ (٢) لا في ج

(٣) يستدعي في أ (٤) من هل

(٥) المائة في ب والانية في ج (٦) من لم .

لأن آثاره ظاهرة ، وأنواره زاهرة^(١) ، ودلائله باهرة^(٢) . فانه
لا يحتاج إلى مقوم^(٣) من خارج ، لأنه يقوم الإنسانية. فان الإنسان
إذا حد يقال حيوان ناطق ميت^(٤) . فالمعنى^(٥) الذاتي المقوم للإنسانية
هو^(٦) النطق ، فبهذا السبب استغنينا^(٧) عن جواب هل هو ..



-
- | | |
|------------------------------|----------------|
| (١) فآرة في ج | (٢) ظاهرة في ج |
| (٣) مقام في ج | (٤) مايت في أ |
| (٥) والمعنى في ج | (٦) وهو في أ |
| (٧) استغني في ب واستغني في ج | |

الفصل الثاني

أما ماهية^(١) النطق فيحتاج^(٢) إلى أدنى شرح ، وشرحه يستدعي أدنى تأمل لاشتباهه بالكلام والقول . وقد عرفنا بأن^(٣) النطق معنى آخر زائد^(٤) على معنى الكلام والقول ، وذلك أن الجنين يوصف بالنطق لأنه ناطق ، ولو لم يكن ناطقاً^(٥) لما^(٦) عد^(٧) من الناس . ولا يقال قائل^(٨) لأن قوله بالفعل ثابت^(٩) ، فهذه الضرورة احتجنا أن نذكر طرفاً من ماهية النطق فنقول :

إن^(١٠) الله سبحانه^(١١) ، لما أراد إظهار جبروته بالإرادة التي تليق بذاته^(١٢) ؛ أبدع جوهرأ روحانياً بسيطاً مدركاً كاملاً

(١) مائة في ب	(٢) محتاج في أ
(٣) في في ب	(٤) زائداً في ب وزائداً في ج
(٥) ناطق في أ	(٦) لم في أ
(٧) بعد في أ	(٨) قابل في أ و ج
(٩) ناقصة من ب	(١٠) لأن في ج
(١١) تعالى في ج	(١٢) سبحانه في ج

مكملاً ، وصفاء وجلاله كالمراة ، ثم ^(١) قابله بنور جلاله وجماله ،
فتصورت ^(٢) إلهية الباري جل جلاله ^(٣) في ماهية ^(٤) جوهريته ،
وعقل ^(٥) ربوية مبدعه ، فعرف ^(٦) عبودية ذاته ، فصار
ذلك الجوهر المبدع ^(٧) الأول ^(٨) عقلاً بصفاء ذاته ، عاقلاً بأدراك
ربوية بارئه ^(٩) ، معقولاً بأحاطة العبودية حوله . فعرف ربه ،
وأطاع أمره ^(١٠) ، واستولى على مطويات ^(١١) القدر ، ومخفيات
القضاء ، بكلمة الباري تعالى ، وأقبل عليه بالاستفادة ، وأدبر عنه
بالإفادة ، كما روي عن النبي ^(١٢) ﷺ أنه قال :

« أول ما خلق الله العقل ، فقال ^(١٣) له أقبل فأقبل ، ثم قال له أدبر فأدبر » ^(١٤)

(١) ناقصة في ج (٢) بقصور في ب

(٣) ثناؤه في ج (٤) ذات في ج

(٥) معقل في ج (٦) وعرف في ج

(٧) المبدء في أ (٨) ناقصة من ب و ج

(٩) باريه في ب (١٠) أمر في ب

(١١) مضمونات في ب و ج (١٢) رسول الله في ب

(١٣) قال في ب و ج

(١٤) قال المراقي : حديث أول ما خلق الله العقل ... من حديث

آبي أمامة وأبو نعيم من حديث عائشة بأسنادين ضعيفين . الاحياء ١ : ٧٤

أقبل^(١) على الكلمة بالاستفادة فتوحد ، ثم أدبر فأظهر النفس بالإفادة ؛ فتزوج ، فأتج الهيولى من مباشرة^(٢) العقل والنفس ، وتمت الكثرة بالثلاث ؛ كما قيل^(٣) أقل الجمع ثلاث^(٤) .

فالعقل^(٥) أول^(٦) المبدعات^(٧) ، والنفس أولى المنفعلات ، والهيولى أولى المولدات . قال الله تعالى : « شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ »^(٨).

فالحاسب^(٩) عادٌ ، والعدد شيء زائد ، وأصل العدد واحد ، حتى أحصى من الكلمة التي هي الوحدة إلى^(١٠) المرتبة الأخيرة التي هي العاشرة ، وهي الانسانية ، ولم يتمكن العاد^(١١) من إنشاء عدد آخر ؛ فرجع من نهاية عدد^(١٢) العشرة إلى بداية الوحدة ،

-
- | | |
|----------------------|--------------------------|
| (١) فأقبل في ج | (٢) مباشر في ج |
| (٣) روي في ب و ج | (٤) ثلاثة في ج |
| (٥) والعقل في ج | (٦) الأول في أ وأول في ج |
| (٧) المبدعات في ج | (٨) ١٨ ، آل عمران |
| (٩) فالحاسب في ب و ج | (١٠) ناقصة من ب ومن ج |
| (١١) العدد في ج | (١٢) ناقصة من ب ومن ج |

فزاد الواحد على العشرة ؛ فحصل من المجموع والزيادة إنسان ناطق
عالم عامل^(١).

فالواحد الكلمة ، والثاني العقل ، والثالث النفس ، والرابع
الحيولى ، والخامس الطبيعة ، والسادس الجسم ، والسابع الأفلاك ،
والثامن الأركان الأربعة ، والتاسع المولدات ، والعاشر
الانسان . فرجع وزاد الواحد على العشرة ، فكانت الزيادة
نبوة^(٢) ورسالة . ففي^(٣) النهاية عشرة كواحد في البداية ، والنهاية
رجوع إلى البداية^(٤).

فاذن قد تبين بهذه المقدمات أن نهاية العدد العشرة ، والعشرة
راجعة الى الواحد الأول وهو العقل الكلي ، والعقل الكلي أثر
كلمة من كلام الله الباري^(٥) تعالى ، والنطق أثر من العقل الكلي .
فاذن النطق ليس هو صورة العبارة ، ولا نفس الاشارة ، ولا
شكل الحروف ، ولا تقطيع الأصوات ، بل النطق هو تمكن^(٦)
النفس الانسانية من العبارة عن الصورة المجردة المتقررة في

(٢) نبوة في ج

(١) عاقل في ب و ج

(٤) ناقصة من ب ، وللبداية في ج

(٣) وفي في ج

(٦) يمكن في أ

(٥) ناقصة من ج

علمه ، المفردة في عقله ، المتبرئة^(١) عن الأشكال ، المعراة عن
الأجسام والمثال .

ففيها^(٢) تصور حقائق الأشياء بأعيانها وذواتها المجردة في مرآة
القلب ، وتقدر^(٣) النفس على العبارة عنها ، ويتمكن الذهن من
التفكر^(٤) فيها ، ويحيط العقل بظاهر وباطنها سميت^(٥) تلك النفس
ناطقة ، ويقال لذلك الرجل ناطق ولو لم يتكلم بالبيان^(٦) ، ولم
يقل باللسان ، وحقيقة ذلك سر^(٧) من أسرار القرآن حيث قال تعالى :
« هذا كتابنا^(٨) يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ »^(٩) .

وليس لكتاب^(١٠) آلة العبارة ، ولا عُدَّة الإشارة ؛ لكن^(١١)
لما تضمن جميع الأشياء ، وأحاط بكل^(١٢) المكنونات^(١٣) ، واستولى

-
- | | |
|--------------------------------|-------------------------------|
| (١) المبرأة في ج | (٢) جمها في ج |
| (٣) يقدر في ب ، وتقدر في أ و ج | (٤) الفكر في أ و ج |
| (٥) سمى في أ و ب | (٦) باللسان في أ |
| (٧) يتبين في ب و ج | (٨) كتاب في أ و ب |
| (٩) ٢٩ ، الجائئة | (١٠) للكتاب في النسختين أ و ب |
| (١١) ولكن في ب و ج | (١٢) على في ب و ج |
| (١٣) المكتوبات في أ . | |

على لطائف الموجودات وكثافتها^(١) كما قال تعالى : « ما فرطنا
 في الكتاب من شيء »^(٢) ، وقال تعالى : « ولا رطب ولا
 يابس إلا في كتاب مبين »^(٣) . فهذا المعنى سمي الله كتابه
 « ناطق »^(٤) ليعلم العاقل^(٥) أن الناطق من الناس من تكون^(٦)
 نفسه متأسية^(٧) لكتاب الله تعالى ، ومتصورة لمضمونات كلمات
 الله تعالى ، ومن لم يعرف حقيقة ما قلناه فهو أبكم وإن كان
 قائلاً ، ومن لم يدركه فهو أصم وإن كان مستمعاً ، كما قال
 تعالى : « صمُّ بكمُّ عميٌّ فهم لا يعقلون »^(٨) .

فمن انسلخ عن جلده الهوى^(٩) والطبيعة انسلاخ الحية ، وتدرع
 بدرع الشريعة ، ينشرح قلبه بنور الالهية^(١٠) ويحترق بإيمانه^(١١)
 بنور الوجدانية ، ويكل نظره الحسي ، ويمتد نظره العقلي ، ولا

-
- | | |
|-------------------------------|--|
| (١) كثافتها في ج | (٢) ٣٨ ، الأنعام |
| (٣) ٥٩ ، الأنعام | (٤) ناطقاً في ج |
| (٥) النافل في ج | (٦) يكون في أ |
| (٧) في جميع النسخ رسمت مناسبة | (٨) ١٧١ ، البقرة |
| (٩) القوي في أ | (١٠) العبارة في ج ينشرح صدره ويتنور قلبه |
| (١١) أمله في أ و ج | |

يُخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَسْرَارِ^(١) الْمَلَكُوتِ ، وَرَوْضَةِ الْجَبْرُوتِ ، فَهُوَ
قَاعِدُ^(٢) بِشْخَصِهِ بَيْنَ أَبْنَاءِ جَنْسِهِ ، وَقَلْبِهِ كَالطَّيْرِ ، فَهُوَ^(٣) فِي الْهَوَاءِ^(٤)
يَصْعَدُ إِلَى مَرْقَاةِ الْكَرَمِ ، وَيَطِيرُ^(٥) فِي جَوْ الْحَرَمِ ، وَيَنْغْذِي^(٦)
بِلَطَائِفِ أَسْرَارِ الْقَلَمِ^(٧) ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : « إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ
الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ »^(٨) . فَيَسْمَعُ قَلْبُهُ النِّغَمَاتِ الْفَلَكَيَّةِ ،
وَيَلْتَذِ^(٩) بِالْتَرْنَمَاتِ^(١٠) الْمَلَكِيَّةِ ، وَيَفْهَمُ مَعَانِي^(١١) أَصْوَاتِ الطُّيُورِ ،
وَيُطْلِعُ عَلَى أَسْرَارِ الْفَرَقَانِ وَالْأَنْجِيلِ وَالزُّبُورِ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى^(١٢) إِخْبَاراً
عَنْ نَبِيِّهِ سَلِيمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ^(١٣) حَيْثُ قَالَ : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِّمْنَا
مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأَوْتِنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ »^(١٤) .

فَإِذَا النُّطْقُ أَشْرَفَ الْأَحْوَالَ ، وَأَجَلَ الْأَوْصَافِ ، وَهُوَ أَصْلُ

-
- | | |
|--|-----------------------------------|
| (١) أَنْوَارٍ فِي ج | (٢) قَاصِرٍ فِي ب وَنَاطِقٍ فِي ج |
| (٣) نَاقِصَةٌ مِنْ ج | (٤) الْهَوَى فِي ج |
| (٥) وَيَطَأُ مَا فِي ج | (٦) وَيَنْغْذِي فِي ج |
| (٧) الْعُلُومُ فِي أ وَالتَّاقِدُ فِي ج | (٨) ١٠ ، فَاطِرُ |
| (٩) يَتَزَوَّدُ فِي ب وَيَلْتَذِ فِي ج | (١٠) بِالْتَرْنِمَاتِ فِي ج |
| (١١) مَعْنَى فِي ج | (١٢) جَلَّ مِنْ قَائِلِ |
| (١٣) عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي ج | (١٤) ١٦ ، التَّمَلُّ |

الكلام والقبول ، وماهيته^(١) تصور النفس صور المعلومات ،
وقدرة^(٢) النفس على الاستماع^(٣) لغيرها مما يسبح في العقل بأي
لغة كانت ، وأي عبارة اتفقت . (قال نبينا عليه السلام: «لأراحة
في العيش إلا لعالم ناطق أو مستمع واع»)^(٤).

فاذن قد تبين بما ذكرناه ماهية^(٥) النطق^(٦) وشرفه ، وتبين أن
الناطق من تكون^(٧) نفسه مثلاً لكتاب الله تعالى ، وقلبه نسخة
من كلمات الله سبحانه^(٨) ، ليقدر^(٩) أن يسمع ربه^(١٠) تعالى ، ويسمع
غيره ؛ وهذا هو نهاية شرف الانسانية ، (وحالة الملائكة ،
فانهم^(١١) صلوات الله عليهم) موصوفون بالنطق ، والانسان إذا نطق^(١٢)
ملك بالقوة ، فاذا صارت ذاته نطقاً ، وفارق علائق الجسم يصير
ملكاً بالفعل ، ويناديه^(١٣) ربه : « سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا
خَالِدِينَ »^(١٤) .

-
- (١) في ، في أ (٢) قوة في ب
(٣) في الأصل وفي جميع النسخ الاسماع (٤) قال..واع العبارة كلها ساقطة من ب وج
(٥) ماهيته في أ (٦) ساقطة من أ
(٧) يكون في أ (٨) ساقطة من أ و ب
(٩) فيقدر في ب و ج (١٠) من ربه في ج
(١١) فان الملائكة في ب و ج وتضيف ج صلوات الله على نبينا وعليهم
(١٢) ساقطة من ب (١٣) يتلأ به في أ (١٤) ٢٧٣ الزمر

الفصل الثالث

اعلم أن من يتأمل ماهية^(١) النطق ، ويطلع على حقيقته ،
ويترقى^(٢) درجته ودقيقته ، يستغني عن سؤال اللمة ، ويعلم يقيناً
أن الخير في الوجود ، والشر في العدم . والانسان بالنطق يلتذ
في وجوده من بدايته ، ويرتقي إلى غايته ؛ فإن بدايته القوة
النامية والمصورة التي هي قوة من قوى النفس النباتية ، وغايته القوة
الملكية^(٣) التي هي من جنود الروح القدس الذي ذكره الله في
كتابه ، فقال : « يوم يقوم الروح والملائكة صفاً »^(٤) .

فاذن الانسان لا يبلغ إلى غايته إلا بالنطق ، ولو تمكن
البلوغ إلى أقصى السماوات^(٥) العلوية بشيء سوى النطق ، لكان

(١) مائة في ب (٢) يسترق في ب

(٣) الملائكية في ب (٤) ٣٨ ، النبأ

(٥) السماوات في أ

خطاب الباري وتكليف الشرع وإقرار العبودية وتصديق النبوة وإثبات الربوبية متعلقاً بذلك الشيء ، فلما ^(١) توجبت ^(٢) هذه المعاني على النطق ، علمنا أن الانسان ما يتميز من الحيوانات إلا بالنطق ، ولا يتشبه بالملائكة إلا بالنطق . وهذا النطق ^(٣) من مواهب الله تعالى على العباد ، وذلك أن الانسان بكل قوة من قوى طبعه ، وبكل صفة من صفات ذاته ، يشابه صنفاً من أصناف الموجودات .

فبالنفس النباتية يشارك النبات ، وبالنفسية يشارك السباع وبالشهوانية ^(٤) يشارك البهائم والوحوش ، وهو بالحواس كالطيور ، وبالوهم كالجان ، وبالخيال كالشياطين ، فانهم يغوصون في البحار ، ويطفون في البراري ، ومنهم كل بناء وغواص ، وآخرون ^(٥) مقرنون ^(٦) في الأصفاد . وهو بعظامه ^(٧) كالمعادن ، وبشعره كالنبات ، وبثقبه ومجاريه كالعيون والأنهار ، وبقواه السبعة

-
- | | |
|--------------------|-------------------|
| (١) ومها في ب | (٢) توجبت في أ |
| (٣) هو من في ب و ج | (٤) بالشهوية في ب |
| (٥) وآخرين في ب | (٦) مقرنين في ب |
| (٧) بنائطه في ب | |

كالأفلاك ، وبالإثني عشر ثقبه كالبروج ، وبالعروق والعضلات^(١)
كالدرج ، وبالمُرتين والدم والبلغم^(٢) كالأركان الأربعة ، التي هي النار
والهواء والماء والأرض .

وبالجملة^(٣) يناسب كل جزء من أجزاء ذاته جزءاً من العالم ،
فقالبه وشخصه مثال للعالم السفلي ، وأوصاف روحه وقلبه مثال
للعالم العلوي ، والنفس الناطقة فيه كالأمير يدبر ويسوس .
ويرعى ويأمر وينهى^(٤) ويمحو ما يشاء ويثبت ، وهي خليفة^(٥)
الله في الأرض البدن ، وحكمة الله على القالب الكثيف ،
وحجة الله على العبد الضعيف ، وصراط الله الممدود^(٦) بين
البهيمية التي هي الشر المحض ، وبين الملكية^(٧) التي هي الخير
الصرف . وهذا الأمير لا يعلو شأنه ولا يعظم قدره إلا بمتابعة
الشرع^(٨) ، وإقامة العبودية ، وطاعة النبوة ، والاقرار

(٢) والسوداء في ب و ج

(٤) ويقبل ما يشاء في ب

(٦) المدود في أ

(٨) الشريعة في ب

(١) الأعصاب في ب

(٣) وفي الجملة يمحو في ب

(٥) خلقة في أ

(٧) الملائكية في ب

بالربوبية ، كما قال تعالى : « وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً »^(١).

وكرامة الله تعالى للنفس الناطقة فحسب ، كما قال الله تعالى : « وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ »^(٢) ، وهذه الكرامة للمؤمنين خاصة لأن علامة النطق بالإيمان ، ومن لم يبلغ رتبة^(٣) الإيمان لم يختص بشرف النطق ، ومن لم يختص بشرف النطق لم ينل كرامة الله تعالى ، لأنه قال^(٤) : « إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ »^(٥).

فانظر أيها العبد الضعيف إلى شرف هذا الجوهر اللطيف ، الذي أنزله الله تعالى^(٦) من ملكوت سماواته ، إلى هذا العالم الصغير الحقير المظلم الكدر ، ليكون ساقياً لهذا الشراب ، ومزياً^(٧) لهذا التراب ، ومعمراً^(٨) لهذا الخراب .

-
- | | |
|-----------------|------------------------|
| (١) ١٣ ، النساء | (٢) ٧٠ ، الاسراء |
| (٣) ربه في أ | (٤) تعالى فقط في ب و ج |
| (٥) ٣٧ ، ق | (٦) اليه في ب |
| (٧) متزلاً في أ | (٨) معياراً في ب |

واعلم أن الله جل ثناؤه ، إنما بنى هذا الهيكل لأجل النفس الناطقة ، وبنى هذه المدينة لها ، حتى نزل^(١) النطق كالأمير في مدينة القلب ، واتخذ^(٢) من وسط الدماغ سريراً ، ومن مؤخرة خزائنه حافظاً^(٣) ، ومن مقدمه بريدأ وموصلاً ، ومن حواسه جواسيس وطيوراً^(٤) ، ومن قلبه مقسماً^(٥) ، ومن يديه^(٦) جناحاً ، ومن رجله قوائم^(٧) وعماداً ، ومن خطراته وحركاته رجالاً وركبانا . فالنفس في البداية مشتاقة لهذه^(٨) الأحوال ، - أعني^(٩) بالأحوال الآلات - ومجبة لهذه الحركات ، حتى يتهيأ لها زاد الآخرة ، وتتوصل^(١٠) إلى الغاية^(١١) ؛ فتبدل^(١٢) العداوة بالمحبة ، والمخالفة بالموافقة ، والجفاء بالوفاء ، والفناء بالبقاء .

-
- | | |
|--|------------------|
| (١) تولى النطق كالأمير الغالب في مدينته في أ | (٢) أخذ في أ |
| (٣) وحافظاً في أ و ب | (٤) الطيور في أ |
| (٥) مقراً في أ | (٦) يديه في ب |
| (٧) قوائم في أ | (٨) إلى هذه في ب |
| (٩) ناقصة من ب | (١٠) يتوصل في أ |
| (١١) لقائه في ب و ج | (١٢) فيتبدل في أ |

والنفس عند ارتحائها عن أرض البدن ، إن كانت مطلعة على أسرار النطق ، طائعة ^(١) لأوامر الرب بالصدق ، توفها الله بلطفه ، وأنزلها في فناء عطفه . كما قال تعالى : « الله يُتَوَفَّى الأنفُسَ حينَ موتِها » . وإن انهمكت في الشبهات ^(٢) ، وغرقت في بحار الظلمات ، واحتترقت بنيران ^(٣) الشهوات ، تخرج ^(٤) من الدنيا بغير زاد ، وتقدم ^(٥) على الله بغير حجة ، وتكون ^(٦) كما أخبر الله بقوله : « الذينَ تتوفاهمُ الملائكةُ ظالمِیْ أنفسهم » ^(٧) .

فقد بان بما ذكرناه ، أن شرف الانسان بالنطق ، وتلقه ^(٨) أيضاً بالنطق . وإلى هذه المعاني ^(٩) أشار سبحانه بقوله : « وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا » ^(١٠) .

-
- | | |
|---------------------|-------------------|
| (١) طائبة في أ | (٢) الشهوات في أ |
| (٣) نيران في أ | (٤) يخرج في أ |
| (٥) يقدم في أ | (٦) يكون في أ |
| (٧) ٢٨ ، التحل | (٨) نيله في ب |
| (٩) هذا المعنى في ب | (١٠) ١٥ ، الاسراء |

وقال تعالى : « وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ، وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ »^(١) . وقال : « وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ ، وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ »^(٢) . وقال : « وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ »^(٣) .

★ ★ ★

(٢) ٣٩ ، مريم

(١) ٣٣ ، الأنفال

(٣) ١٠٧ ، الأنبياء .

الفصل الرابع

وإذ ذكرنا^(١) طرفاً من حقيقة النطق ، وماهيته ، وليته ؛
فتريد أن نذكر^(٢) أيضاً أن النطق صفة الخلق لا صفة الخالق .
اعلم أن النطق وإن كبر أمره ، وعظم قدره ، وارتفع شأنه ،
ولاح برهانه ، واستوى بنيانه ، وعلت أركانه ، فهو^(٣) صفة
النفس الانسانية ، ووصف العقل البشري^(٤) ؛ إذ ليس هو
إلا عبارة النفس الانسانية . والنفس الانسانية جوهرية حية
عالمية^(٥) ، فعالة ، دراكة ، علامة . وأن هذه الجوهرية في
بداية^(٦) الفطرة ، وأول الإقبال على المضغة ، جوهرية ساذجة
غير منقوشة ؛ بل هي قابلة للصور ، مستعدة لتحصيل العلوم ؛

(١) وإذن قد قدمنا في ب

(٢) يذكر في أ

(٣) وهو في أ

(٤) البشر في ب

(٥) ناقصة من أ

(٦) بدايته في أ

ما فيها نقش لا من خير ولا من^(١) شر ، ولا من علم ولا من
 جهل ، كما قال النبي ﷺ : « كل مولود^(٢) يولد على الفطرة ،
 وإنما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه^(٣) » . وقال ﷺ^(٤) :
 « خلق الله الخلق حنفاء^(٥) ، فاحتلهم^(٦) الشياطين^(٧) » ، فإذا تعلق
 بالبدن نوعاً من التعلق — أعني تعلق إقبال لا تعلق حلول
 واتصال^(٨) — فانه برهان بالبراهين الواضحة ، والحجج اللامحة ،
 إن النفس غير متمكنة ، وغير حالة في البدن بوجه من الوجوه ؛
 بل هي مقبلة عليه ، ومدبرة له . وهذه مسألة مفروغ^(٩) منها ،
 لا يحتاج إلى بيانها .

(١) ناقصة من ب (٢) مولد في أ

(٣) حديث كل مولود... قال العراقي متفق عليه من حديث أبي هريرة .
 الاحياء ٣ : ٦٤ ، وفي موطأ مالك ٢ : ٢٤١ والبخاري ٨٢ كتاب القدر
 بألفاظ أخرى .

(٤) عليه السلام في ب و ج (٥) حنفا في أ

(٦) واحت الله في ب ، واختلهم في أ

(٧) الشيطان في ب ، وفي النهاية لابن الأثير في مادة جول ومادة
 حول ، لأن الحديث ورد فاحتلهم الشياطين وورد فاجتاهم ، أما في الأصل
 فقد أورد الفزالي بلفظ فاختلهم .

(٨) اتصال في أ (٩) مفروضة في ب

وإذا أقبلت النفس في بداية الفطرة ، فأول الأشياء تكون غير قابلة للمعاني المعقولات ، غير قوية على إدراك المحسوسات ، ولا فيها رسوم من العلوم الأوليات ؛ مثل التفاوت بين الكليات والجزئيات ، ومثل الأشياء المساويات لشيء واحد فهي أيضاً متساويات ؛ فان هذه الأشياء تنالها ^(١) النفس بأدنى تفكر ، وأقل روية . فاذا انتقل الجنين إلى الطفولية ، تقوى ^(٢) بعض الحواس . فاذا انتقل إلى الصبي ، تم ^(٣) قوة الحواس ، وتدرك ^(٤) كل حاسة محسوساتها .

ثم إن النفس تقبل تعلم المفطورات ^(٥)، فحينئذ تكون عقلاً عزيزياً . ثم بعد ذلك تنتقل إلى الشباب ، ويحصل للنفس إدراك بعض المعقولات ، وتقدر على تعلم المركبات ، وتعرض عن اللهو واللعب، وتشغل بتحصيل الصور ونقش الأشكال بالبيان ^(٦)، والبيان ^(٧) بما سبق عليه الكتاب ؛ ويعلمه الله بالعناية كلماته الإلهية ،

(١) ينالها في أ

(٢) يقوى في أ

(٣) تم في أ

(٤) يدرك في أ

(٥) في الأصل المفطورات

(٦) البنان في أ

(٧) البنان في أ

بكتابه البشرية ، كما قال الله تعالى : « اقرأ وربك الأكرم
الذي علّم بالقلم ، علّم الإنسان ما لم يعلم ^(١) ». وقال سبحانه ^(٢)
وتعالى : « خلّق الإنسان ، علّمه البيان ^(٣) » .

ففي أول الحال تسمى نفساً ساذجة ، ثم عقلاً غريزياً ،
ثم عقلاً بالقوة والملكة ، ثم عقلاً بالاكساب ، ثم
عقلاً بالفعل .

فهذه النفس إذا قبلت صور المعلومات يقال لها عقل ، وإذا
تمكنت من العبارة عن معقولاتها تسمى ^(٤) نطقاً . والنفس
جوهرية ، والنطق صفة من صفاتها ؛ فلاجل هذا المعنى لا يطلق
اسم الناطق ^(٥) على الباري تعالى ، لأن الناطق هو العاقل ؛ ولا يقال
للباري عاقل ، لأن العقل جوهر ، والعاقل من جوهريته ^(٦) ،
والباري تعالى ليس بجوهر ؛ فاذن ليس بعقل . والعقل أشرف من
النفس ، والنطق صفة النفس ، والنفس جوهرية ، والعقل في الجوهرية

(١) ٣ ، العلق (٢) سبحانه و ، ناقصة من ب

(٣) ٣ و ٤ ، الرحمن (٤) يسمى في أ

(٥) النطق في ب (٦) متجوهر في ب و ج

أشرف من النفس . والباري تعالى ^(١) خالق ^(٢) العقل وإلهه ، وربّه
وبارئته ومبدعه . وإذا كان مبدع الجوهر وخالقه كيف
يوصف بأوصاف الجوهر ؛ وإذا كان باري العقل كيف يوصف ^(٣)
بصفة العقل .

فإذن الباري تعالى رب العقل والنفس والنطق جميعاً ؛ فالعقل أثر
من كلامه ، والنفس سر من أمره ، والنطق صفة شريفة مخلوقة .
وهو منزّه عن هذه الأوصاف والصفات ، تعالى الله عما يقول
الظالمون علواً كبيراً .



(١) جل ثناؤه في ب
(٢) معبود في أ
(٣) يتصف في ب .

الفصل الخامس

اعلم أن النفس الكلية إذا أقبلت على الجسم يسمى إقبالها نفساً إنسانياً . وذلك الاقبال لا يكون إلا بأمر الباري جل ثناؤه . والعقل الأول الكلبي إذا فاض على الجسم يقال لفيضه نطقاً .

وأول ما أثرت النفس الكلية إنما أثرت^(١) في الجسم المطلق ؛ فصار الفلك جسماً^(٢) حياً . وأول ما أفاض^(٣) العقل بالنطق أفاض على الفلك ؛ فصار الفلك حياً ناطقاً^(٤) .

فاذن الفلك حي ناطق ، ثم بعده الانسان حي ناطق مائت . فالنطق من العقل ، والحياة الانسانية من النفس . وإن كان في العبادة إثنيية ؛ ففي^(٥) الحقيقة وحدة^(٦) لا تعدد إلا بالترتيب .

-
- (١) عبارة إنما أثرت ناقصة من ب (٢) حياً ناطقاً في ب و ج
(٣) عبارة وأول ما أفاض ناقصة من ب (٤) حتى صار ناطقاً في ب و ج
(٥) فهي في ، في ب (٦) واحدة في ب

فقد بان بما ذكرنا أن للملائكة نطقاً ، وللإنسان نطقاً ، وللعقل
الكلبي نطقاً^(١) ، وللأنبياء عليهم السلام نطقاً ، وللعلماء نطقاً ،
وللمؤمنين نطقاً ؛ فنطق المؤمنین كنطق الأفلاك ، ونطق
العلماء كنطق الملائكة ، ونطق الأنبياء عليهم السلام كنطق العقل
الكلبي الذي أفاض^(٢) ، وهو جوهر مطلق فرد عالم بذات بارئه ، كامل
بكلمته ، مكمل مادونه بفيضه ورحمته .

والله تعالى منزّه عن الناطقية والعاقلية والجسمية والجوهرية ،
وذاته أعلى من أن يقال أعلى ، وأجل من أن يقال أجل .
سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ،
والحمد لله رب العالمين .

(١) عبارة وللإنسان ... نطقاً ، مقاطعة من أ

(٢) عبارة الذي أفاض ، ناقصة من ب

الباب الثاني

في الكلام والمتكلم

وفيه ^(١) فصلان :

الفصل الأول

في الكلام وماهية ^(٢) وحقيقته

اعلم ^(٣) أن الكلام على ضربين :

أحدهما يطلق في حق الباري سبحانه ^(٤) .

والثاني في حق الآدميين ^(٥) .

أما الكلام الذي ينسب ^(٦) إلى ^(٧) الباري سبحانه ^(٨) ، فهو :

(١) وبه في ج (٢) في ماهية الكلام وحقيقته في ب

(٣) اعلم أسعدك الله في الدارين في ب ، وأسعدنا الله وإياك في الدارين في ج

(٤) تعالى في ج (٥) الآدمي في ب

(٦) ساقطة من أ (٧) في ، في أ ، وفي حق في ج

(٨) جل ثناؤه في ج .

صفة من صفات الربوبية . ولا مشابهة بين صفات الباري^(١) وبين صفات الآدميين ؛ فان صفات الآدميين زائدة على ذواتهم ، لتكثر وحدتهم ، وتقوم^(٢) أنيتهم بتلك الصفات ، وتتعين حدودهم ورسومهم بها ، كما فرّق الحكماء^(٣) بينها ، وعبروا عنها بالذاتي^(٤) والعرضي اللازم غير المفارق^(٥) وغيره ؛ كالنطق والضحك فان أحدهما يقع في الحد ، والآخر يقع في الرسم .

وصفة الباري جل ثناؤه لا تحد ذاته ولا ترسمها^(٦) ؛ فليست إذن شيئاً زائداً على العلم الذي هو حقيقة هويته تعالى وتقدس . ومن أراد أن يعد صفات الباري تعالى^(٧) فقد أخطأ ، لأن العاد لا يدخل في المعداد^(٨) ، ومن ظن أن صفاته تشابه صفات الآدميين فقد أشرك ، لأن الخالق لا يشبه المخلوق .

فالواجب على العاقل أن يتأمل ، ويعلم أن صفات الباري تعالى

(١) تعالى في ج (٢) ينقوى في ب

(٣) الحكماء في ب (٤) الذواتي في ب

(٥) المفارق في ج (٦) ترسم في ج

(٧) ماقطة من ب (٨) الحدود في أ

لا تتعدد^(١) ولا ينفصل^(٢) بعضها عن بعض إلا في مراتب العبارات ،
ومدارج الاشارات ، كما إذا أضيف علمه إلى سماع^(٣) دعوة^(٤)
المضطرين يقال سميع ، وإذا أضيف علمه إلى رؤية كل صغير
وكبير^(٥) يقال بصير ، وإذا نيل منه الرزق يقال رازق^(٦) ، وإذا
فاض من مكنونات علمه على قلب أحد من الناس بأسرار إلهيته^(٧)
ودقائق جبروت ربوبيته يقال متكلم . وليس بعضه آلة
السمع ، وبعضه آلة البصر ، وبعضه آلة الكلام ؛ بل كله
بكلية^(٨) ذاته مرتب ذاته ، بحسب إرادته ، كما يعلم ويشاء ،
ولا^(٩) يشغله شأن عن شأن ، سبحانه لا إله إلا هو
الجواد المنان .

فاذن كلام الباري سبحانه ليس بشيء^(١٠) سوى إفاضة مكنونات^(١١)

-
- | | |
|------------------------------|----------------------|
| (١) تعد في ب و ج | (٢) ينفصل في أ |
| (٣) اسماع في أ | (٤) دعوات في ج |
| (٥) ضمير الصغير والكبير في أ | وكبير وصغير في ج |
| (٦) رزاق في ج | (٧) الالهية في ب و ج |
| (٨) بكليات في ب و ج | (٩) ساقطة من ب |
| (١٠) شيئاً في ج | (١١) مكنونة في ج |

علمه علي من يريد إكرامه من خلقه^(١) ، كما قال تعالى^(٢) ،
« وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا » وكلمه ربه شرفه الله^(٣) بعزه ،
وقربه بقدسه ، وأجلسه على بساط أنسه ، وشافه بأجل^(٤)
صفاته ، وكلمه بعلم ذاته ؛ كما شاء كلم ، وكما أراد^(٥) سمع ،
ولا يندرج كلامه تحت الكيفية ، ولا يحتاج إلى سؤال الهيئ ،
ولا يوصف بالماهية والكمية ، بل كلامه كعلمه ، وعلمه كإرادته ،
وإرادته صفاته^(٦) ، وصفاته^(٧) كذاته ، وذاته أعلى من التنزيه
والتكثير^(٨) ، وصفاته أجل من التفصيل والتفسير ، خالق كل
شيء ، وهو على كل شيء قدير . فعلما قليل ، وكلامنا صغير ،
لأن^(٩) كلامنا أثر نطقنا ، وعلمنا نتيجة تعلمنا وتفكرنا . وأما
علم الباري^(١٠) فهو موجب العقل ، وكلامه موجب النطق .

-
- (١) من خلقه ، ساقطة من أ (٢) جل من قائل في ج
(٣) الله تعالى وجل في ب
(٤) بأجل في ب ، وشافه الرب بصفاته في ج
(٥) شاء في ب و ج (٦) و (٧) صفاته في ب
(٨) التكثير في ج (٩) فان في ب و ج
(١٠) سبحانه في ب .

وَأَنَّ الْبَارِيَّ تَعَالَى لَا يَعْقِلُ ثُمَّ يَعْلَمُ ، وَلَا يَنْطِقُ بِالْفِكْرِ ثُمَّ
يَتَكَلَّمُ . بَلْ يَعْلَمُ وَعِلْمُهُ قَاعِدَةُ الْأَفْعَالِ ، وَيَتَكَلَّمُ وَكَلَامُهُ
أَسَاسُ الْأَقْوَالِ وَالْأَحْوَالِ ، وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ بِحَسَبِ مَا يَبْتَغَى
فَكَيْفَ يُطَّلَعُ عَلَى كَلِمَاتِهِ ، وَكَيْفَ تُعَدُّ^(١) دَقَائِقُ صِفَاتِهِ ،
وَكُلُّ كَلِمَةٍ مِنْ عِلْمِهِ عَالَمٌ فِي حُسْنِهِ ، وَكُلُّ حَرْفٍ مِنْ كَلِمَاتِهِ
رُوحٌ فِي بَدَنِهِ^(٢) . وَإِذَا أَحَاطَ^(٣) بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ، وَأَحْصَى^(٤)
كُلَّ شَيْءٍ عِدْدًا ، فَكَيْفَ نَفْسُ كَلِمَةٍ مِنْ كَلِمَاتِهِ^(٥) وَلَوْ تَكَلَّفَ
الْفِكْرُ أَبَدًا . كَمَا قَالَ تَعَالَى : « قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا
لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ
رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا^(٦) » . فَهَذِهِ حَقِيقَةُ كَلَامِ الْبَارِي
جَلَّ ثَنَاؤُهُ .

وَأَمَّا كَلَامُ الْآدَمِيِّينَ ، فَيُقَالُ لِلْعِبَارَةِ^(٧) الْمُحْصَلَةِ الْمُنْظُومَةِ الصَّادِرَةِ

(٢) أَبْدَانًا فِي ب وَ ج

(٤) أَحْصَتْ فِي أ

(٦) ١٠٩ ، الْكَهْفُ

(١) تَتَعَدَّدُ فِي ب وَ ج

(٣) أَحَاطَتْ فِي أ

(٥) كَلَامُهُ فِي ج

(٧) الْعِبَارَةُ فِي ب .

عن الفكر النطقي ، والحدس العقلي ، قبل إلقاء القول عليه ،
 كلام . فإدام المعنى^(١) مخفياً مستوراً في حجب الفكر يسمّى
 نطقاً . فإذا صدر عن الفكر ، ودنا عن^(٢) القول يسمّى كلاماً .
 فإذن النطق يحتاج إلى مخرج ومؤد^(٣) ليصير كلاماً ، والكلام
 يحتاج إلى عبارة ونظم ولفظ ليصير قولاً ، والقول يحتاج إلى
 حركة وآلة^(٤) وقطع صوت ليصير حديثاً ، والحديث يحتاج
 إلى قلب ذكي ، وسمع فہيم^(٥) ، فيرجع إليه كما بدا ليصير
 سماعاً . وهذه المراتب إنما تنتظم^(٦) في حق الآدمي لأنه
 مركب زماني ؛ تظهر^(٧) أفعاله وأقواله بالدفعات في
 أوقات الزمان .

فأما كلام الباري^(٨) فغير^(٩) هذا ؛ فانه عالم بجميع^(١٠) الأشياء ،
 علمه لا يتغير ولا يتبدل ، ولا يحد ولا يمد . كما قال سبحانه :

-
- | | |
|--------------------------|---------------------|
| (١) الكلام في ج | (٢) إلى في ج |
| (٣) ساقطة من ب و ج | (٤) بدون الواو في أ |
| (٥) وفہيم في ب وفہم في ج | (٦) ينتظم في أ |
| (٧) يظهر في أ | (٨) جل وعلا في ب |
| (٩) غير في أ و ج | (١٠) لجميع في أ |

« وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ^(١) ». فكلامه ^(٢) إفاضة علمه ^(٣) بحسب إرادته كما يتنا قبل ، وسائر الموجودات . نتائج كلماته . وكلماته باقية بقاء علمه ، لا تبديل ^(٤) لكلماته ، ولا تغير ^(٥) لعلمه ، ولا مانع لأحكامه . كما أخبر سبحانه ^(٦) : « وَتَمَّتْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ ^(٧) صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبْدِلَ لِكَلِمَاتِهِ ^(٨) » وإذا كان علمه هو ^(٩) ذاته ، فكما ^(١٠) لا تنفى ^(١١) ذاته لا يتناهى علمه . وذاته ليست ^(١٢) بفاية ^(١٣) ، وعلمه ليس بمتناه ، وكلامه ليس بمنقطع ، لأن الكلام باق ببقاء الذات ^(١٤) . ولا فناء لذاته ، فكلامه كعلمه ، وعلمه كذاته ، و « كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ، لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ^(١٥) » .

- | | |
|----------------------|------------------------|
| (١) ٢٥٥ ، البقرة | (٢) وكلامه في أ |
| (٣) عليه في أ | (٤) مبدل في ب و ج |
| (٥) مغير في ب و ج | (٦) وتعالى في ب |
| (٧) ربي في ب و ج | (٨) ١١٥ ، الأنعام |
| (٩) هو صفة ذاته في ج | (١٠) فما في ب و ج |
| (١١) ينفى في ب | (١٢) ليس في ب |
| (١٣) بفان في ب | (١٤) الذات العلية في ج |
| (١٥) ٨٨ ، القصص . | |

الفصل الثاني

اعلم أن المتكلم الحقيقي الذي لا انقطاع لكلامه ، ولا مبدل
لكلماته^(١) ، هو الله الذي لا إله إلا هو . لأنه لا يتكلم بآلة
خارجة ، ولا يعبر معنىً غامضاً من علمه بتفكر وروية ، بل
باطن علمه وظاهر كلامه واحد . لأنه واحد بذاته ، وواحد
بصفاته من جميع جهاته . ولو احتاج إلى آلة وعدة ومادة
ومدة^(٢) لزال^(٣) الوحدة الحقيقية عن ذاته وصفاته ، وعرضت
الكثرة المغيرة .

وقد عرفت الحكماء بأن الإله هو الحق^(٤) المحض الذي
لا كثرة في صفاته ، ولا حد لذاته ، ولا آلة لكلماته .

(١) عبارة « اعلم ... لكلماته » ساقطة من ج

(٢) ساقطة من ب و ج (٣) لأزليت في ب و ج

(٤) الإله هو الحق ، الله هو الحق في ج

وإذا كان التكلم بالحقيقة هو الباري فاذا سُمي غيره متكلماً
يكون على طريق^(١) المجاز ؛ إلا من يتبع كلام الباري سبحانه ،
ويؤمن^(٢) بتفسيره وتأويله ، ويقوم بأوامر تنزيله ويودي^(٣) حق
ترتيبه ؛ فحينئذ يكون متكلماً .

وهذا الجدل الذي تسميه^(٤) المعتزلة وأتباعها كلاماً ، فذلك
خرافات الحديث ، وفضلات^(٥) المنطق ، ورأس البدعة ، وأصل
الزندقة ، ومن اشتغل بذلك الجدل^(٦) واغتر بمطالعة^(٧) ذلك^(٨)
الكلام فقد شرع في محدثات الأمور . وقد قال النبي ﷺ^(٩) :
« إياكم ومحدثات الأمور فانها بدعة ، وكل بدعة ضلالة^(١٠) » .
وقال عليه السلام : « كل كلام ليس يُذكر الله فيه فهو لغو ،
وكل صمت ليس بفكر فهو غفلة » .

(١) الطريق في أ (٢) ويرمز في ج

(٣) ويودي حق ترتيله ساقطة من ج (٤) بسميه في أ

(٥) فاضلة في ب (٦) ساقطة من ب

(٧) بطالمة في ج (٨) ذاك في ج

(٩) عليه السلام في ب

(١٠) ورد الحديث بعبارة أخرى في سنن النسائي ، كتاب صلاة العيدين .

وإذ يَبَيِّنُ أَنْ التَّكَلُّمَ عَلَى الْحَقِيقَةِ هُوَ الْبَارِي تَعَالَى لِأَنَّهُ
 سَمِيَ ^(١) نَفْسَهُ مُتَكَلِّمًا ، فَقَالَ : « وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا » ^(٢) .
 فَالْكَلَامُ بِالْحَقِيقَةِ ^(٣) كِتَابُهُ ^(٤) الْمَنْزِلُ الْمُشْرِفُ ، الَّذِي قَالَ تَعَالَى
 فِيهِ : « إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ لَا يَمَسُّهُ
 إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ » ^(٥) . وَلَا يَمَسُّ ظَاهِرَهُ إِلَّا الْمُتَحَرِّزُ مِنْ ^(٦)
 الْمُنْهَيَاتِ ^(٧) الشَّرْعِيَّةِ ^(٨) ، وَلَا يَمَسُّ حَقَائِقَهُ ^(٩) إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ^(١٠)
 مِنْ ^(١١) أَدْنَسِ الطَّبِيعَةِ ، الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ،
 أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ .

وَإِذَا كَانَ كَلَامُهُ صِفَةً ذَاتَهُ ، وَلَطِيفَةً عِلْمَهُ ، فَمَا أَفَاضَ مِنْ
 كَلَامِهِ عَلَيْنَا يَكُونُ حَدِيثًا مِنْ قَدِيمِ بُرْهَانِهِ ^(١٢) ، وَآيَةً مِنْ عَظَمِ ^(١٣)

-
- | | |
|--------------------------------|---|
| (١) ساقطة من ج | (٢) ١٦٤ ، النساء |
| (٣) في الحقيقة ، بالحقيقة في ج | (٤) كأنه في أ |
| (٥) ٧٨ ، الواقعة | (٦) المتحرزين في ب والمتحرز من صفة في ج |
| (٧) منهيات في ب | (٨) الشريعة في ب و ج |
| (٩) باطنة في ج | (١٠) المتطهرون في ج |
| (١١) من جملة في ج | (١٢) برهانه في أ |
| (١٣) عظيم في ج . | |

شأنه . كما قال تعالى : « اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا
 متشابهاً مثاني^(١) » (الآية) فالحديث الحسن كلام الله القديم
 المنزل المحفوظ في صدور الرجال^(٢) الراسخين ، المعلوم في قلوب
 المؤمنين ، الذي لا ريب فيه هدى للمتقين . وهذه الكلمات^(٣)
 النبوية المستخرجة من أسرار^(٤) الإلهية التي نطق بها الرسول
 ﷺ ، وصدقه الله تعالى في جميع منطقة حيث قال : « وَمَا يَنْطِقُ
 عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ^(٥) » .

فقد بان بما ذكرناه أن المتكلم الحقيقي هو الله سبحانه ،
 والكلام هو القرآن . وقال رسول الله ﷺ : « القرآن
 كلام الله غير مخلوق » ، ومن قال إنه مخلوق فهو كافر ملحد^(٦)
 فاعلم أيها الطالب أن ما سوى الله تعالى باطل ، وما سوى
 كلامه هذيان . وصفات الله^(٧) من الله ، وأخبار

-
- | | |
|---------------------|-------------------|
| (١) ٢٣ ، الزمر | (٢) ساقطة من ب |
| (٣) الكلمة في ب و ج | (٤) الأسرار في ب |
| (٥) ٤ و ٥ ، النجم | (٦) كلمة فصل في ب |
| (٧) وصفات . | |

رسوله^(١) ﷺ من أسرار القرآن ، ومن لم يؤمن بهذا القرآن
فقد استحق الخذلان والحرمان^(٢) ، لأنه موصوف بالنفاق
والكفران ، كما قال سبحانه : « وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا
أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ^(٣) » .



(٢) والفراق في ج

(١) نبيه في ب

(٣) ٤٤ ، المائدة

الباب الثالث

في القول

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول

في سماع القول

اعلم أن قول الإنسان لطيف غير ثابت في الهواء ، ولا يظهر القول إلا بواسطة الصوت ، والصوت هو قرع يحدث عند اصطكاك الاجرام بالهواء ^(١) ، فالهواء ^(٢) إذا انضغط يكون أصواتاً ، والصوت إذا انقطع يكون حروفاً ^(٣) ، والحروف إذا

(٢) ساقطة من ب و ج

(١) ساقطة من أ و ج

(٣) حرفاً في ج .

تركبت تكون^(١) كلاماً ، والمعنى النطقي النفسي^(٢) الروحاني
إذا اتصل بها يكون نطقاً ، فاذا لفظت الألسنة^(٣) بها
يكون قولاً .

والقول^(٤) : الكلام التام ، الظاهر ، المفيد ، المنقول إلى أسمع
المستمعين ، بأن يحمل الهواء^(٥) ذلك الصوت الحامل لتلك الكلمات .
ولو كانت صور الأقاويل باقية في الهواء^(٦) بحيث يستفيد بها الناس ،
لما احتاجوا إلى الكتابة ، وتقييد الأقوال في الصحائف^(٧) والدفاتر .
لكن لما كان الهواء لطيفاً ، والأصوات منقطعة ، والأقاويل
في الهواء غير ثابتة ولا دائمة ، احتالت^(٨) النفوس^(٩) الانسانية
بأسباب شتى طلباً لبقاء^(١٠) المقولات . وسنبين هذا
في موضعه^(١١) .

-
- | | |
|-------------------------|---|
| (١) يكون في أ | (٢) الانساني في ب و ج |
| (٣) الألسن في ج | (٤) فالقول هو في ب |
| (٥) الهواء في أ | (٦) الهواء في أ |
| (٧) المصاحف في ج | (٨) أحالت في أ |
| (٩) النفوس في ب | (١٠) العبارة ، طلب البقاء للمقولات في ب |
| (١١) إن شاء الله في ب . | |

فاذن القول هو الكلام التام الجاري على الألسنة ، ولا يقال
للكلام التام قول ما لم يظهر بحيث تحيط به آذان المستمعين ؛
لأن المعنى المفهوم المركوز في الأصل يسمى نطقاً ، والنطق
المنظوم التام الفعل ^(١) يسمى كلاماً . ويصح النطق والكلام
بغير واسطة ومستمع لأنهما متعلقان بذات المتكلم تعلق صفة
وصورة ، والقول لا يصح إلا مع المستمع المخاطب من خارج .
فالناطق مع نفسه ناطق ، وإن كان ساكناً بلسانه ، والمتكلم بصفته
متكلم وإن كان ^(٢) فارغاً عن ^(٣) بيانه . فأما ^(٤) القائل فلا يبين معاني ^(٥)
سره ^(٦) ولا يعبر عن مفهومات علمه إلا بعد علمه ^(٧) بمعين ^(٨) مخاطب ،
ويمكن مستمع .

والله تعالى متكلم أزلاً وأبداً بلا انقطاع ولا استغراق ولا
اشتغال بالماضي من الزمان والمستقبل منه ، لأنه متكلم بصفة ^(٩)

-
- | | |
|-----------------------|-------------------|
| (١) بالفعل في ب | (٢) هو في ب |
| (٣) في ، في ب | (٤) وأما في ب |
| (٥) تعلق في ب | (٦) سبحانه وتعالى |
| (٧) ساقطة من ب | (٨) تعيين في ب |
| (٩) بالصفة في ب و ج . | |

غير ناطق بالقوة . فاذا أظهر كلامه على بعض عبادته يكون قائلاً
 بنيته الإظهار ، وسبب الاعتبار . وإذا أعرض عن المستمعين
 والمخاطبين إعراض جلال وجمال وكمال لا إعراض ملل^(١)
 وزوال ، فيكون متكلماً بذاته أزلاً وأبداً ، أولاً وآخراً ،
 ظاهراً وباطناً .

واعلم أن قول الانسان لا يقاس على قول الله سبحانه ، لأن
 قول الله تعالى أطف من أن يندرج تحت الصوت ، أو يقبل
 مدة الزمان ، وترتيب الدفعات ؛ بل هو ظاهر بالإيجاد^(٢) ،
 ومنظوم بفنون المبدعات والصور ، لا بالأصوات ومخارج
 الحروف ، فإن الله تعالى فوق الزمان ، بل هو فوق
 الدهر الذي هو عنصر الزمان ، لا يقبل التغير بالحدثان ،
 والانتقال بالدوران ، ولا يكون قوله كلمة بعد كلمة ، أو^(٣)
 عبارة بعد عبارة ، لأن البعدية والقبلية في زمان من الأزمنة ،
 وكتاب الله القديم^(٤) بمعزل عن القبلية والبعدية الزمانية .

(١) ملل في أ

(٢) ويضاف لا بالإيجاد في أ

(٣) و في ب و ج

(٤) وقديم في أ

والكثافة^(١) عن قوله منفية ، واللطافة الأصلية من قوله^(٢) «
كلية أممية .

وأما قول الإنسان فلطيف بوجه ، كثيف بوجه ؛ أما لطافته^(٣)
فمن قبل المعاني الروحانية ، ومن جهة امحائه^(٤) في الهواء ، أو^(٥)
اندراس آثاره بعد سكون القائل وسكوته ؛ وأما كثافته فمن
قبل أدواته ومراتبه وآلاته ومخارجه وعدده . فقول^(٦) الانسان .
إذا ظهر على لسانه يكون كثيفاً بالإضافة إلى قوله الروحاني
قبل بيانه . وقول الله تعالى لا يشابه قولنا باستدعاء الآلة ، واحتياج
المدة ، ولكنه مفيد لنوي الأبواب وأصحاب الحاجات ، فأقوايله^(٧)
هي أصول الكتابات ، كما قال عز وجل : « إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا
أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ »^(٨) .

(١) الكتابة في ب (٢) من قوله ساقطة من ج

(٣) اللطافة في ج (٤) امحايه في أ

(٥) و في ب (٦) منقول في أ

(٧) الالهية في ب و ج (٨) ٤٠ ، النحل

الفصل الثاني

في غرض القول وعقيقته

اعلم أن جوهر الانسان بالحقيقة ^(١) هو ^(٢) النفس الناطقة العاقلة المدركة العاملة ^(٣) ، وأن جميع صور العقولات فيها بالقوة ، فاذا تعلمت ^(٤) واستفادت ممن هو أكمل وأعقل وأعلم ، ظهرت تلك الصور التي بالقوة فتصير ^(٥) عقلاً بالفعل ، وتستغني ^(٦) عن مطالبة ^(٧) المحسوسات والتلذذ بلذة الجسمانيات . وهذه النفوس الناطقة كانت صافية لطيفة مشعة ^(٨) ، لا يمنعها شيء من الحجب

(١) الحقيقة في أ (٢) مي في أ

(٣) المالة في ب و ج (٤) ساقطة من ب و ج

(٥) فيصبر في أ (٦) ويستغني في أ

(٧) مطالعات في ج ولعلها مطالعة (٨) مشقة في أ ومشتقة في ب و ج

والموانع ، لكنها لما اتصلت بهذه الأشخاص الترابية ، وتسربت
سربال^(١) الجسدانية ، وانحصرت في حيز البشرية ، احتجبت
بحجب الحواس ، واستترت بأستار غلاظ كثاف ، وامتنعت
عن إفاضة المعاني واستفاضتها بمجرد الصفاء^(٢) واللطافة^(٣) المعراة
عن المواد والآلات . وأنها كاملة بذاتها ، وفيها المعاني المعقولة
بحيث لا تحتاج إلى شيء من خارج . غير أن النفس المستفيدة
إذا أرادت أن تتعلم شيئاً من النفس المفيدة وهما في
حصار البدن ، لا تتمكن من التعلم إلا بعد استماع
من خارج ، فتهيأ السمع للبدن . والاستماع لا يكون
إلا بعد بيان وعبرة ، فتهيأ اللسان والحناجر للبدن^(٤) ،
حتى يعبر^(٥) العالم^(٦) المفيد^(٧) بلسانه عن المعاني

(١) سربال في ب (٢) الصفاء في أ

(٣) اللطافات في ب (٤) للبر في ج

(٥) فيقرر في ج (٦) العلاج في ج

(٧) المعيد في ب .

المركوزة^(١) في نفسه ، ويبلغها بيانه إلى المستفيد^(٢) المستمع بأذانه . فاخترعت^(٣) الحكمة الإلهية بتهيئة^(٤) أسبابها ، وتمهيد قواعدها ، وتسوية آلاتها ، لكيلا تنقطع مواد العلوم عن أصول النفوس . والنفس إذا عبرت عن مفهوم الكلام عبارة تظهر^(٥) فائدة المعبر للغير^(٦) يسمى قولاً ، وإن كان لا يعرفها في الحال بعض المستمعين لآفة أو قصور أو تقصير .

فاذن إفاضة^(٧) النفس لا تكون إلا بأحد طريقتين^(٨) ؛ إما بالقول ، أو بالكتابة . فالقول لطيف روحاني ، غير أنه ممزوج^(٩) بشيء كثيف جسماني وهو الصوت والهواء ومخارج الحروف وأشكال الحروف . فان الصوت وأشكال^(١٠) الحروف كثيفة بالاضافة إلى المعنى المحض الروحاني ، ولكنها لطيفة بالإضافة إلى الكتابة^(١١) .

(١) المذكورة في ج (٢) المستفيد في ب

(٣) فاختارت في ب و فاختارت في ج (٤) في تهيئة في ب وفي نهاية في ج

(٥) يظهر في أ (٦) للمعبر في ج

(٧) إيضاح في ب وإيضاح التعبير في ج (٨) طرفين في ب

(٩) مخرج في أ (١٠) وأشكال في ج

(١١) بالاضافة إلى الكتابة ، بالكتابة ، في ج

فالمكتوب^(١) آثار وتقوش في الدفاتر ؛ وأما القول فهو آثار
ومسموعات^(٢) ثابتة في النفس دون زوائدها . فالقول إذا صدر عن
لسان المتكلم ، وانتظمت عبارته ، يحمله الهواء بواسطة الصوت
في أصداف الحروف ، ويأخذه عن الخارج والخاجر والحنك التي
هي آلات الكلام ، كالزمير التي هي آلات الصوت . ويبلغ
المعاني الملبوسة المركبة المرتبة إلى آذان المستمعين . فالتقوش تبقى
في الخيال والأصوات مع أشكال الحروف التي^(٣) تقع في الآذان ،
وسجلها^(٤) ونظمها يصل إلى المفكرة^(٥) ، وصورها تصل إلى
الحافظة ، ومعانيها المعراة المبرأة عن المواد والعناصر متصلة بالنفس
الناطق^(٦) العاقلة ، وتصير زينتها وحليتها وآلة كمالها^(٧) وهيئة
صورتها ، وسبب سعادتها^(٨) ومميزتها بها عن غيرها ، وهذا
حقيقة قول الآدميين .

-
- | | |
|----------------------|--------------------|
| (١) فان المكتوب في ب | (٢) مصنوعة في أ |
| (٣) ساقطة من ج | (٤) ساقطة من ب و ج |
| (٥) الفكر في ج | (٦) ساقطة من ج |
| (٧) عملها في ج | (٨) سماوتها في أ |

الفصل الثالث

فأما ^(١) قول الله عز وجل فليس إلا إفاضة المعاني على العقول بحسب قوتها ، وعلى قدر طاقتها ، من غير بخل ولا منع ^(٢) ولا ميل ، تعالى الله عما يقول المشركون ^(٣) والظالمون علواً كبيراً ، لأن الله ليس بجسم مركب ، ولا جوهر محدد ^(٤) ومقدر ، حتى يكون بعض كلامه بالفكر وبعضه بالقوة ^(٥) وبعضه بالفعل ، فانه واحد كامل قادر قيوم لا يحتاج إلى التفكير ^(٦) ولا إلى استخراج ^(٧) المعنى من القوة إلى الفعل ، فيكون علمه سبحانه كلاماً ، وإفاضة قولاً ،

-
- | | |
|--|-------------------|
| (١) وأما في ج | (٢) ولا مانع في ج |
| (٣) ساقطة من ب | (٤) محدود في ب |
| (٥) وبعض بالقوة ، وبعض كلامه بالقوة في ج | |
| (٦) الفكر في ج | (٧) استخراج في ج |

و^(١) حدود الناس ومراتب الخلق مقادير^(٢) قوله^(٣) . فواحد .
يسمع بصفاء نفسه وقوة عقله صريح القول فيكون صاحب وحي .
ورسالة ، وآخر يسمع بقوة فكره وغلبة وهمه فيكون
صاحب إلهام وحديث ؛ وعلى هذه^(٤) المراتب ؛ فبعضهم
لا يسمع من كلام^(٥) الله تعالى إلا الحروف^(٦) ، وبعضهم
يسمع^(٧) كتاباً منزلاً مجملًا مثل التوراة والانجيل والفرقان^(٨) ،
ويعلم أنها كلام الله سبحانه^(٩) وقوله ونظمه وفيضه ونوره وجوده .
وعزته وقدرته ، ويعلم أنه لا نظير له ولا وزير ، ليس كمثل
شيء وهو السميع البصير .

وتحت كل كلمة من بيان قول الله جل ثناؤه أسرار كثيرة .

-
- | | |
|--|------------------|
| (١) وأما حدود في ب | (٢) مقادير في ج |
| (٣) قوامهم في ج | (٤) هذا في ب |
| (٥) قول في ب | (٦) حروفاً في ب |
| (٧) لا يسمع إلا ، في ب ، ولا يسمع في أ | |
| (٨) والزبور والقرآن في ج | (٩) تعالى في ب . |

لا يحتمل شرحها هذا الكتاب . فعليك أن تصفي نفسك من
كدورات الطبيعة ، وتنبيهها من رقاد الغفلة بتأديب الشريعة ،
حتى تسمع قولاً بغير صوت ، وتنال حياة بغير موت ، ولذة
بغير فوت . قال الله عز^(١) وجل : « هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ
الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ »^(٢) .



الباب الرابع

في الكتابة

وفيه فصلان :

الفصل الأول

في كتابة المخلوقات

اعلم أن الله جلّت قدرته ، لما خلق الإنسان وشرفه وفضله
على سائر المخلوقات ، جعل نوع الإنسان معاناً^(١) بعضه لبعض^(٢) ،
مستمسكاً وحافظاً^(٣) ، بحيث لا يتم^(٤) تعايشهم^(٥) إلا بالمعاونة
والمساعدة والمعاوضة . وإلى هذا أشار الرسول عليه السلام بقوله :

(٢) يعض في ب و ج

(٤) تم في ب

(١) مطلقاً في ب

(٣) محافظاً في ب و ج

(٥) معائشهم في ب

« الناس كأشنان المُشط في الاستواء^(١) ». وبقوله: « المؤمن للمؤمن كالبنيان^(٢) » يشد بعضه بعضاً^(٣) ».

فقوام الدنيا ، وبقاء العالم ، بمحافضة الناس ، واشتغالهم بكفاية مهيات النوع ، لحزمة^(٤) المعاش ، ورعاية^(٥) المصالح ، وعمارة العالم . وهذا لا يكون إلا بفنون الحرف ، وأصناف الصنائع . ولو أراد واحد من الآدميين أن يقوم بجميع الصنائع لم يتمكن له^(٦) ، ولا بد من معاون ومعاخذ . وربما تستدعي صناعة واحدة جماعة من الناس حتى تتم الصنعة ، ويحصل الغرض . والصنائع منقسمة إلى علمية وعملية ؛ والعملية تتم بآلة^(٧) خارجية ، وأدوات زائدة ، وعدة^(٨) كثيرة^(٩) .

-
- (١) في الاستواء ساقطة من ب (٢) كالبنيان المرصوص في ج
 (٣) في الأصل المؤمنون كالبنيان ، والحديث في البخاري كتاب ٤٦
 باب ٤ ، ومسلم كتاب ٤٥ ، باب ٦٥ ، والجامع الصغير للسيوطي ٢ : ٥٦٩
 (٤) بحرمة في الأصل
 (٥) وغاية في الأصل
 (٦) ساقطة من ب و ج
 (٧) بآلات في ب
 (٨) غدد في ب
 (٩) كثير في ب

ولا بد لكل صانع في صنعته من سبعة أشياء : الحركة، والزمان،
 والمكان ، والمواد ، والأداة^(١) ، والصحة ، والعضو الفاعل
 الذي هو الآلة . ولو انتقص واحد من هذه السبعة لتعطلت
 الصنعة^(٢) ، وبطلت الفائدة ، وأما الصنائع العلمية فهي معرفة
 الأشياء ، وتصور حقائقها ، وإدراك صورها على ما هي عليه .
 وهذا التصور لا يحصل إلا بالتعلم ، والتعلم هو طلب كمال النفس ،
 وتحليلها بالصور العقلية ، وتركيتها عن ردائل^(٣) الجسمانية .
 وطريق التعلم والتعليم والإفادة والاستفادة بالقول^(٤) والاستماع .
 والقول من الألسنة يصدر ، والاستماع بالآذان يصح ، لكن^(٥)
 الحكماء قالوا : إن القول كتابة لطيفة ، والكتابة قول كثيف ،
 فإذا انتقل القول من اللسان إلى القلم^(٦) ينوب البصر عن
 السمع . والبصر للمكتوب كالسمع للمقول ، والقلم للكتابة^(٧)
 كاللسان للخطاب^(٨) .

-
- | | |
|----------------------------|------------------|
| (١) والأدوات في ج | (٢) الصبغة في ب |
| (٣) زوائل في أ ودلائل في ب | (٤) بالقول في ب |
| (٥) ولكن في ب | (٦) القلب في أ |
| (٧) للكتاب في ب | (٨) للمخاطب في ج |

واعلم أن الهواء^(١) إذا لطف غاية اللطافة يكون ناراً ، والنار
إذا استحالت إلى الكثافة تصير هواء ، والهواء لطيف ، لكن
بإضافته^(٢) إلى^(٣) الماء ؛ وأما بإضافته^(٤) إلى^(٥) النار فهو كثيف .
والكتابة أيضاً لطيفة ، بالإضافة إلى الاشكال ، كثيفة بنسبة^(٦)
الأقوال . ولولا أن الكتابة جارية بين الناس لما تقررت المعاني ،
ولا^(٧) استكملت النفوس ، لأن جميع المعاني المطلوبة ربما لا يتفق^(٨)
تلفظ جميع الألسنة بها مع جميع الطالبين ، فيبطل التعليم^(٩) ويضيع
المتعلم . فالله سبحانه^(١٠) يحزير لطفه ، ولطيف حكمه^(١١) ، ألهم
بعض عباده^(١٢) حتى استخرجوا^(١٣) من صفاء^(١٤) أذهانهم ، من

-
- | | |
|--|---------------------|
| (١) الهواء في ب | (٢) بإضافة في ب |
| (٣) ناقصة من ب | |
| (٤) بإضافة في ب ، والمبارة في ج على النحو التالي : « ... لكن | |
| بإضافة الماء ، وأما بإضافة النار ... » . | |
| (٥) ناقصة في ب | (٦) بالإضافة إلى |
| (٧) لما في ب | (٨) تتفق بلفظ في ج |
| (٩) التعلم في ج | (١٠) تعالى في ب و ج |
| (١١) حكمته في ج | (١٢) عبيده في ب |
| (١٣) استخرجوه في أ | (١٤) بصفاء في ج |

أرحام أفكارهم ، ومعادن أفئدتهم ، هذه الفائدة العامة ، ودبروا
لبقاء^(١) العلم^(٢) تدييراً حسناً ، واتخذوا من الأقلام نواباً
للألسنة ، وجعلوا المكتوب للمقول كالأجساد للأرواح ،
وكالأصداغ للدر ، وحصنوا^(٣) العلوم الروحانية في حصون^(٤)
الأشكال ، وقيدوها في بطون الدفاتر وصدور المصاحف ، لتكون
ذخيرة للأخلاف عن الأسلاف . وينتقل العلم من قرن إلى قرن ،
ومن قوم إلى قوم ، ومن أهل إلى أهل ، إلى أن يقضي الله أمراً
فهو فاعله^(٥) ومريده . والله^(٦) سبحانه من^(٧) على نبيه^(٨) بعلم
القلم فقال عز وجل^(٩) : « اقرأ وربك الأكرم الذي علم
بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم^(١٠) » . ومن شرف الكتابة أن
الله سبحانه وتعالى أقسم بها^(١١) فقال : « ن ، والقلم وما

-
- | | |
|---------------------------------|---------------------|
| (١) ساقطة من ج | (٢) العلوم في ج |
| (٣) وحصلوا في ج | (٤) حصول في ج |
| (٥) فهو فاعله، كان مفعولاً في ج | (٦) غير موجودة في ج |
| (٧) ساقطة من ج | (٨) نبيه ﷺ في ج |
| (٩) جل من قائل في ج | (١٠) ٣ و ٤ ، العلق |
| (١١) قسم بآلاتها في ج | |

يَسْطُرُونَ^(١) . فاذن الكتابة نعمة من نعم الله تعالى ولها
 منزلة^(٢) حسنة عند ذوي الألباب ، لأنها تحفظ ما يتولد^(٣) عن
 أفهام العقلاء ، وتقيد ما تصطاده أذهان الحكماء . فأثر^(٤) الكتابة
 يدل على المقولات^(٥) الملفوظة المعبر عنها ، وتلك المقولات تدل
 على المعاني الروحانية المعقولة المكنونة في الحروف اللفظية التي هي
 وراء الأشكال والنقوش والأمثلة ، وتلك المعاني تدل على مواهب
 الله سبحانه ونعمه التي تكمل نفوس العباد وتسعدها في يوم
 المعاد ؛ فان الله « جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ
 لَا يُخْلِفُ الْمِعَادَ^(٦) » .

(١) ١ و ٢ ، القلم

(٢) مرتبة

(٣) تولد في أ

(٤) فأثر في ب و ج

(٥) المقولة في أ ، المقولات في ج (٦) ٩ ، آل عمران

الفصل الثاني

في^(١) الكتابة المنسوبة إلى الله تعالى وأحوال^(٢) كُتبه

اعلم أن الله عز وجل ، كتب كتاباً قبل أن يخلق^(٣) السموات والأرض ، وهو عنده : إن رحمتي سبقت غضبي . بهذا^(٤) أخبر رسول الله ﷺ ؛ وأن كتابة الله ليست بالقلم الجسماني ، ولا على اللوح البدني^(٥) ، بل لكتابته ثلاث مراتب :

أولها : الابداع ، فإن الله سبحانه أبدع السموات دفعة واحدة بالفطرة الأصلية^(٦) لا بجمع^(٧) المواد وتركيبها بالدفعات ، وترتيبها وتنميتها^(٨) بالمطعومات . بل أبدعها دفعة واحدة بلا مدة،

-
- | | |
|---------------------|---------------------------------|
| (١) الثاني في ج | (٢) وأصول كتابه |
| (٣) خلق في ج | (٤) هكذا في ب و ج |
| (٥) المرئي في ب و ج | (٦) الالهية في ج |
| (٧) بجمع في أ | (٨) تنقيتها في ب وهي ساقطة من ج |

ولا مهلة ، كما قال جل ثناؤه : « بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ » ،
 فإذا قَضَى أَمْرًا فأنما يقولُ لهُ كُنْ فيكونُ ^(١) . فقولُه
 إيجادُه وإبداعُه ، وكتابتُه قولُه ^(٢) ، فإذا صدر الإبداع عن أمره ^(٣)
 يكون قولاً ، فإذا وصل إلى المحل وظهر المبدع يكون
 كتابةً ^(٤) . وحروف المكتوب أشخاص الأفلاك ، وكلمات المكتوب
 أجسام الأفلاك .

فالعالم إذن كتابة أمر ^(٥) الله تعالى لا حقيقة قول الله ^(٦) .
 لأن قولُه إظهار كلامه ، وكلامه صفة ذاته ، وصفاته قديمة ،
 وكلامه قديم ، وقوله قديم . والعالم ليس بقديم وهو محدث ،
 والكتابة أثر ظهر عن القول القديم وهي حادثة . والعالم مع
 أنه مكتوب بخط صنع الاله عن يد قدرته حادث مبدع
 محدود متناهٍ ^(٧) .

فاذن أول مرتبة من مراتب كتابة الله تعالى الإبداع .

-
- | | |
|--------------------|---------------------|
| (١) ٦٨ ، غافر | (٢) ناقصة من أ |
| (٣) قوة في ج | (٤) كتابته في أ |
| (٥) ناقصة من ب و ج | (٦) غير موجودة في ج |
| (٧) ومتناه في ج . | |

والمرتبة الثانية : إلقاء لطائف^(١) الحكمة ، ومعاني الكلمة ،
 في^(٢) قلوب الأنبياء بالوحي ، وفي قلوب الأولياء بالالهام ، وذلك
 بالتفهم^(٣) والتعليم^(٤) ، وفي قلوب المؤمنين بالنور^(٥) والشرح والتوفيق
 والهداية والتأييد .

وقد أخبر^(٦) عن هذه الحالات في القرآن بالآيات^(٧) ، وفي
 الأخبار بالإشارات . كما ورد في الأخبار أن الله تعالى كتب
 التوراة لموسى بخطه^(٨) ، وقال في القرآن : « أُولَئِكَ كَتَبَ
 فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ^(٩) » . وقال : « كَتَبَ اللَّهُ لِأَغْلِبَنَّا أَنَا
 وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ^(١٠) » . وأمثال هذه . وقال
 عز وجل : « الرَّحْمَنَ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ
 الْبَيَانَ^(١١) » .

-
- | | |
|---|-------------------------|
| (١) لطائف في ب | (٢) و في أ |
| (٣) بالتفهم في أ | (٤) وتعلم في أ |
| (٥) ناقصة من ب | (٦) اجتمع |
| (٧) في الآيات في أ | (٨) يده في ب و ج |
| (٩) ٢٢ ، المجادلة | |
| (١٠) الآية « إن الله ... » لا توجد في ب و ج | |
| (١١) ٢١ ، المجادلة | (١٢) ١ و ٢ و ٣ ، الرحمن |

فإن الإنسان يمكن أن يكون نوع الآدميين ، فإن الله جل ثناؤه^(١)
علمهم العلم ، وعلمهم البيان باللسان وبالقلم .

ويمكن أن يكون الإنسان^(٢) محمداً عليه السلام^(٣) ، فإن^(٤) الله^(٥)
تعالى^(٦) علمه القرآن ، وكتب معانيه في قلبه ، ثم أوحى إليه
بواسطة جبريل وأمره^(٧) بالبيان عن المسموع^(٨) المعلوم بلسانه
لأئمة وأصحابه ، كما قال سبحانه وتعالى^(٩) : « وَإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ
رَبِّ الْعَالَمِينَ ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ
مِنَ الْمُنذِرِينَ ، بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ^(١٠) » .

فالوحي بمنزلة اللوح ، والقرآن فيه^(١١) بمنزلة المكتوب
المنظوم^(١٢) ، والنبي ﷺ^(١٣) طالع لوح الوحي ، وقرأ من

-
- | | |
|---------------------------------|-------------------------------|
| (١) وتقدمت أمماؤه في ب | (٢) يحصى في ب ويخص سيدنا في ج |
| (٣) صلى الله عليه وسلم في ب | (٤) ناقصة من ب |
| (٥) والله في ب ، تبارك في ب و ج | |
| (٦) وتعالى في ج | (٧) أمره في أ |
| (٨) المسمع في ج | (٩) غير موجودة في ب |
| (١٠) ١٩١ ، الشعراء | (١١) ساقطة من ج |
| (١٢) غير موجودة في ب و ج | (١٣) عليه السلام في ب |

المكتوب المنظوم ، وبلغه إلى أمته . والله تعالى أمره بالقراءة ،
والقراءة تكون بعد كتابة^(١) ، فقال تعالى : « اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ
الَّذِي خَلَقَ ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ^(٢) » .

والمرتبة الثالثة : مغفرة ذنوب المؤمنين ، وإظهار الرحمة على
المسلمين . فإن الله سبحانه أوجب على جوده بكمال كرمه وعنايته ،
أن يرحم المؤمنين .

وأوله بمنزلة الكتابة والسجل ؛ فإن الإنسان إذا ادعى على
أحد بدين قبله^(٣) لا يسمع مجرد دعواه ، وإذا كان معه سجل
محكوم عن قاض من قضاة المسلمين تصح^(٤) دعواه ، ويحصل
ماله ، بسبب ذلك المكتوب . (فالله تعالى وعد المؤمنين
برحمته ؛ ولم يكتف بموعوده^(٥) فأخبر عن السجل فقال :
« كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ^(٦) » ليطمئن قلوب المؤمنين
بإستماع المكتوب) .

(١) قراءته في ب (٢) ناقصة من أ ، ١ ، الملق

(٣) ناقصة من ب و ج (٤) يصح في أ

(٥) بوعدده في ب والعبارة من (فالله ... المكتوب) ساقطة من ج

(٦) ٥٤ ، الأنعام .

ثم أظهر كتابته في درج محسوس ، ودفتر مجسم ملموس ،
تصحيحاً لظنوت المؤمنين . وذلك الدفتر والدرج هو شخص
محمد ﷺ ، فقال عز وجل : « وما أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً
لِّلْعَالَمِينَ ^(١) » . فمن قبل شرعه ، واتبع دينه ، وأطاع أمره ، فهو
في الدنيا مرجوم ، وفي الآخرة مسعود ^(٢) منعم مكرم أبد الآبدين ،
برحمة رب العالمين .

وما كان محمد ^(٣) بذاته رحمة ^(٤) ، بل كان بنبوته ^(٥) وبشريته ^(٦)
رحمة ^(٧) . ونبوته ما كانت مختصة بل كانت شاملة للجميع ^(٨)
الأنبياء صلوات الله عليهم ^(٩) . كما قال سبحانه : « لَا نُفَرِّقُ
بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ^(١٠) » . وهو خاتم النبيين وأفضلهم .
والله تعالى أعطى لكل نبي من كلامه كتاباً ، ومن قوله

-
- | | |
|---------------------|---------------------|
| (١) ١٠٧ ، الأنبياء | (٢) ساقطة من ج |
| (٣) محمد ﷺ في ج | (٤) رحمته في أ |
| (٥) نبوته رحمة في ج | (٦) وشريته في أ و ب |
| (٧) رحمته في أ | (٨) بجميع في أ |
| (٩) وسلامه في ب | (١٠) ٢٨٥ ، البقرة . |

خطاباً ، فله^(١) كتب غير معلومة ، ومكتوبها قديم غير منحول^(٢) ، والقرآن أكملها وأشرفها ، ومحمد^(٣) ﷺ مبلغها ومبينها^(٤) ومعيارها وميزانها . كما قال جل ثناؤه : « الله^(٥) الذي أنزل الكتابَ بالحقِّ والميزان^(٦) » . وقال ﷺ : « أنا ميزان العلم ، وعليُّ لسانه » .

واعلم أن كتابة الله سبحانه هي^(٧) الابداع وإلقاء الوحي والإلهام للمؤمنين وبعث محمد ﷺ وحفظ شرعه إلى يوم الدين . لا مغير لشرعه ، ولا مبدل لحكمه ، ولا علة في قوله ، ولا آلة لكتابته . والمؤمنون كلُّ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، والكافرون هم الظالمون لأنفسهم ، المحرومون في الدنيا من مطالعة كتابة^(٨) الله ، وفهم آياته الطاهرة^(٩) في ألواح الآفاق ، ودفاتر الأنفس ، كما أمر الله سبحانه بقوله^(١٠) : « قُلْ انظُرُوا ماذا في^(١١)

-
- | | |
|-----------------------------------|-----------------------------|
| (١) جل وتمالئ في ب ، وعز وجل في ج | (٢) منحولة في ب وساقطة من ج |
| (٣) وسيدنا محمد في ج | (٤) مشتها في أ |
| (٥) والله في ب | (٦) ١٧ ، الشورى |
| (٧) في ، في ب | (٨) كتاب في ج |
| (٩) الكاملة في ج | (١٠) يقول في ب |
| (١١) ما في السموات في أ و ب | |
- وصحتها ما أثبتناه .

السموات والأرض^(١) . وقال تعالى : « وفي أنفسكم أفلا
تُبْصِرُونَ^(٢) » . وقال^(٣) تعالى : « سنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ
وفي أَنفُسِهِمْ^(٤) » .

فالمناققون ؛ محرومون في الدنيا من^(٥) ملاحظة كمال^(٦) آيات الله
وكتبه المسطورة^(٧) بالقلم الإلهي الذي لا تدرك^(٨) الأبصار^(٩) ذاته
ولا حركته^(١٠) ولا اتصاله بمحل الخط ؛ وفي الآخرة من
سماع^(١١) كلام الله تعالى وأقواله ولذيد خطابه الكريم : سلام
قولاً من ربٍّ رحيم .

فالمؤمن يعرف ربه بكتابته^(١٢) ، والعارف يعرفه^(١٣) بكلماته ،
والكافر موقوف على حرف ، ولا معنى للحرف . قال الله تعالى :
« وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ^(١٤) » .

-
- | | |
|--------------------|-------------------|
| (١) ١٠١ ، يونس | (٢) ٢١ ، الذاريات |
| (٣) جل و في ب | (٤) ٥٣ ، فصلت |
| (٥) عن في ب | (٦) جمال في ب |
| (٧) المسطرة في ب | (٨) يدرك في أ |
| (٩) بالأبصار في أ | (١٠) ناقصة من أ |
| (١١) ناقصة من أ | (١٢) بكلماته في ج |
| (١٣) يعرف ربه في ب | (١٤) ١١ ، الحج |

الباب الخامس

في الغرض المطلوب

وفيه خمسة فصول :

الفصل الأول

اعلم أن أكثر الناس اختلفوا في الحروف ، فقال بعضهم :
إنها قديمة ، لأن الحروف^(١) واقعة في كتب الله^(٢) المنزلة ،
ولا بد في الكلام منها . والله تعالى متكلم بالحروف ، وكلامه
قديم ، فلا يشك^(٣) أن الحروف قديمة . فإذا كانت الحروف
قديمة ؛ فسواء تقع في كلام الله تعالى ، أو في كلام الآدميين ،

(١) الحرف في ب وعبرة « لأن الحروف » ساقطة من ج

(٢) عز وجل في ب (٣) تشك في أ

فحكمها في جميع المقولات حكم واحد . وقالوا : إنها لا تندرج تحت الخلق والإبداع ، بل إنها من قبيل الكلام المنسوب إلى جهة^(١) الباري تعالى . وهو قادر أن يتكلم بالصفة ، ويقول هذه الحروف ، من غير أن يحتاج إلى الآلات^(٢) والمخارج ؛ فإن الانسان يحتاج إلى الآلات^(٣) ، لأنه مركب من جسم^(٤) لحماي^(٥) كثيف ، وروح^(٦) نفساني لطيف ، والروح الإنساني^(٧) مستور بحجاب الشخص المظلم ، فيحتاج في تصرفاته إلى آلات^(٨) توافق الشخص لينال حقائق الأشياء وصورها بوسائط تلك الآلات^(٩) .

كما أن الانسان يحتاج في إدراك صور المحسوسات إلى حاسة^(١٠) البصر ، وحاسة البصر^(١١) تستدعي الحدقة والعين ،

-
- | | |
|---------------------------|--|
| (١) صفة في ج | (٢) الآلة في ج |
| (٣) الآلة في ج | (٤) جنس في ج |
| (٥) هكذا في الأصل | (٦) والروح في أ |
| (٧) وروح الانسان في ب و ج | (٨) الآلات في أ وآلة في ب و لعلها آلات |
| (٩) آلات في أ | (١٠) الحاسة في أ |
| (١١) والبصر وحاسة في ج | |

وجرم العين مركب من سبع طبقات ؛ وثلاث رطوبات ،
وهي : الطبقة المنكبوتية ، والقرنية ، والغبية ، والمشمية ،
والصلبة ^(١) ، والشبكية ، والملتحمة ؛ والرطوبة ^(٢) البيضاء ،
والزجاجية ، والجلدية ^(٣) .

وكذلك يحتاج في الاستماع بحاسة السمع إلى الأذن ^(٤) ؛ والأذن ^(٥)
مؤلفة من غضاريف ، وغضب مجوف .

وكذلك يحتاج في القول ^(٦) إلى الحنك واللسان والشفيتين
والأسنان ، وهي مؤلفة من أعصاب وغضاريف وعضلات .

ولا شك أن الله تعالى منزّه عن هذا ، وأنه تعالى ^(٧) يدرك جميع
الموجودات بلا آلة ولا حدقة ، ونحن نراها بآلات ^(٨) . وكذلك
يسمع جميع الأصوات والكلمات من غير أذن مجوف ^(٩) ، ونحن

-
- | | |
|---|--------------------------|
| (١) الصلبة في أ | (٢) الرطوبة في أ |
| (٣) الجلدية في ب | (٤) الآذان في ب |
| (٥) الآذان في ب | (٦) القول يحتاج في ب و ج |
| (٧) العبارة «منزه.. تعالى» ناقصة من ب (٨) بآلة في أ و ج | |
| (٩) مجوفة في ج | |

نسمع بالآذان . وهو أيضاً سبحانه قادر على أن يتكلم بجميع الكلمات من غير آلة وحنك^(١) ولسان ، ونحن نتكلم بالآلات^(٢) والمخارج . فهذا قول^(٣) جماعة من عقلاء الخنابلة .

وقال قوم^(٤) آخرون : ان^(٥) الحروف محدثة ، لأنها تقطع^(٦) الأصوات وتشكلها بأنواع الأشكال المختلفة . ويظهر اختلافها عند المخارج وهي أصداف المعنى^(٧) . والمعاني المعرأة عن الحروف كاملة بذواتها ، منقوشة في النفوس الانسانية . ولا تحتاج تلك المعاني إلى الحروف ما دامت مستقرة في أصل النفس . فاذا حان وقت إظهارها بسبب إفادة المستمعين ، تستدعى الحروف لترتيب الكلمات ونظم الأقوال .

فكلام الله تعالى صفة ذاته ، لا تركيب عبارة ، ولا تأليف^(٨)

(١) حنك في ج (٢) بالآلة في ج

(٣) فهذه أقوال جماعة من عقلاء الخنابلة في ج

(٤) ساقطة من ب (٥) ساقطة من ب

(٦) قطع في أ (٧) المعاني

(٨) تألف في أ

حروف ؛ فانها تقع تحت الزمان ، وتظهر بدفعات^(١) المدة .
والله تعالى منزّه عن عوارض الزمان ، والتكلم بالحنك واللسان ،
فكلامه^(٢) صفة ذاته ، والصفة لا تفارق^(٣) الموصوف بوجه من
الوجوه ، ولا في وقت من الأوقات . وإذا أراد أن يتكلم ،
يوحي^(٤) معاني كلامه إلى أنبيائه ورسله عليهم السلام ، ويلقي
في قلوبهم نور الوحي بواسطة روح القدس ، حتى يعبر الشارع عن
كلام الله سبحانه وتعالى بلسانه ، ويتكلم عنه ببيانه . كما قال سبحانه :
« نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ
بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ » .

والحروف تقع في كلام الله^(٥) عند عبارة النبي عليه السلام^(٦)
فتكون الحروف آلة^(٧) محدثة ، والكلام صفة قديمة ، وإذا زالت
المحدثة لا تزول صفة القديم بزوالها .

وهذا قول جماعة من الشافعية وهم الأشعرية^(٨) .

-
- | | |
|--------------------|------------------------|
| (١) ساقطة من ج | (٢) وكلامه في أ |
| (٣) لا تفارقه في ج | (٤) يتكلم الذات في ج |
| (٥) تعالى في ب | (٦) ﷺ في ب ، وآله في ج |
| (٧) ساقطة من ج | (٨) الأشعرية في ب |

وقال قوم^(١) آخرون من أهل السلامة : إن الحروف إذا وقعت في كلام الله^(٢) — أعني القرآن — تكون قديمة لحمة كلام الله تعالى ؛ وإذا وقعت في كلام الآدميين تكون محدثة . وهذا كلام^(٣) ضعيف حقير لا أصل له^(٤) ، لأن الشيء الواحد إما أن يكون قديماً ، وإما أن يكون محدثاً ؛ فمن^(٥) اعتقد أن الحروف تارة تكون^(٦) قديمة ، وتارة محدثة ، فقد اختل عقله ، وظهر جهله ، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور .
فهذا كلام الفرقتين^(٧) اللتين هما معظم أهل الاسلام .



-
- | | |
|-------------------|-----------------------------------|
| (١) ساقطة من ج | (٢) « كلام الله أعني » ناقصة من ب |
| (٣) قول في ج | (٤) لا أصل له ساقطة من ج |
| (٥) ومن في ب و ج | (٦) تكون في ب |
| (٧) الفريقين في أ | |

الفصل الثاني

اعلم أن الله^(١) خلق جسم الانسان من جملة تراب^(٢) الأرض ؛
من الطيب والخيث ، والصلب والرخو ، والأحمر والأسود
والأبيض ؛ وأتقن لكل شخص تركيباً معيناً ، وتأليفاً خاصاً^(٣) .
تولد من ذلك^(٤) التركيب والتأليف مزاج مخصوص به ، متصرف
فيه على حال حد^(٥) طبيعته ، ومقدار طاقته^(٦) ، وقوته . وليس
هذا الأمر مختصاً بالانسان ، بل يشمل جميع المخلوقات من الحيوانات
والنباتات والجمادات . ثم كل شخص يقبل النفس على^(٧) مزاجه

(١) جل ثناؤه في ب و ج (٢) وجه في ب و ج

(٣) تركيب مبين وتأليف خاص في ج (٤) ذاك في ج

(٥) حد ناقصة من ب ، والعبارة في ج « وتصرف على حال طبيعته »

(٦) عبارة « ومقدار طاقته » مكررة في أ

(٧) على قدر في ب و ج

واستعداده ؛ فكلماً^(١) يقرب المزاج إلى الاعتدال يكون الاستعداد أكثر ، وكلما زاد الاستعداد تكون^(٢) النفس أقوى . ومن قوة النفس تكون^(٣) قوة العقل ، ومن قوة العقل يكون^(٤) حسن التدبير ، ومن حسن التدبير يكون نظام العالم . فالمادة التي قبلت العرشية ما نقصت عن قوتها شيء^(٥) ، ولا زادت عليها ؛ إذ لا يحل من واهب^(٦) الصور ، ولا منع منه ، ولا ميل . فبمقدار قبول المراد تهيات الصور ؛ وذلك بتقديره وعنايته^(٧) .

ولما اتفق^(٨) أن مزاج الإنسان كان أقرب إلى الاعتدال من سائر الأمزجة ، كانت صورته أحسن من جميع الصور^(٩) ، وظهرت قوى^(١٠) النفس في أشخاص الناس أكمل وأقوى مما في

(١) وكلماً في ج (٢) يكون في أ

(٣) يكون في أ (٤) يتولد في ج

(٥) شيئاً في ج (٦) وأب في أ

(٧) العبارة « بمقدار ... وعنايته » في ج « في مقدار قبول المواد تهب الصور وكذلك بتقبيله وقمنا بتقدير وعنايته .

(٨) اتفقوا في ج (٩) وأقوى في ج

(١٠) قوة في ج

غيرها^(١) . ثم^(٢) جميع الناس أيضاً لم يقفوا في مرتبة واحدة ، بل لكل واحد مزاج وبنية . وهذه المعاني توجد في حواس^(٣) الناس ؛ فواحد يكون بصره أحد ، ولفظه أبين ، وسمعه أقوى ، حتى^(٤) يرى ويسمع ويتكلم ضعف ما يرى ويسمع غيره من نوعه . وربما يكون شخص واحد^(٥) يسمع ويتفكر ويقول ويعمل بيده عملاً وينشئ^(٦) كل ذلك في حالة واحدة^(٧) ، بحيث لا يغلط ولا يشغله ويمنعه شيء^(٨) عن شيء . وآخر ضعيف الحال سمعه يمنعه عن البصر ، وفكره يمنعه عن القول . وإذا وجدنا هذا التفاوت بين إدراك الظواهر ، فلا نشك^(٩) أن التفاوت في الخواطر والأفهام والصفات أكثر ، لأنها أدق وأصعب . وإن^(١٠) كان التفاوت لازماً بين بصائر الناس وأفكارهم

-
- | | |
|------------------------|---------------------|
| (١) من جميع الناس في ج | (٢) ثم في في أ |
| (٣) بحواس في ب | (٤) من حيث في ب و ج |
| (٥) شخصاً واحداً في ج | (٦) ويمش في ب و ج |
| (٧) معاً في ب و ج | (٨) ساقطة في أ |
| (٩) فلا شك في ج | (١٠) وإذا في ب و ج |

وأذهانهم ، فربما يكون^(١) بصيرة واحد من الناس أقوى من بصيرة غيره ، حتى أن واحداً يتصور ألف مسألة في أقل مدة من الزمان بقوة حدسه ، وصفاء^(٢) فكره . وآخر يتعب نفسه^(٣) جميع عمره ، في تحصيل علم ظاهر ، أو^(٤) تصور مسألة ضعيفة^(٥) ، فلا^(٦) يقدر على ذلك . وجميع اختلاف الناس^(٧) في أمر الدين تولد من هذه الأحوال وبهذه الأسباب المذكورة ؛ وهذه مسألة صعبة^(٨) مشككة ، تستدعي شرحاً طويلاً لا يحتمله هذا الكتاب . وقد شرحنا هذا في مواضع أخر .

فاذا عرفت هذا ، فاعلم : أن النفوس النواطق متفاوتة ، والبصائر مختلفة ، والقوى بحسب النفوس ، والتصور بحسب البصائر ؛ ومن رضي لنفسه^(٩) بالجهل فقد حرم مرتبة الإنسانية ،

-
- | | |
|----------------|----------------|
| (١) تكون في ج | (٢) اصفاء في أ |
| (٣) في في ب | (٤) و في آ |
| (٥) خفيفة في ج | (٦) ولا في ج |
| (٧) ساقطة من ب | (٨) صفيفة في ب |
| (٩) ساقطة من أ | |

وسيصير شيطاناً بالفعل ، فان « شَرَّ الدوابِّ عندَ اللهِ الصَّمُّ »
البُكْمُ الذينَ لا يَعْقِلونَ^(١) » ، الذين ختم الله على قلوبهم وعلى
سمعهم وأبصارهم .

واختلاف الناس في كلام الله^(٢) وأحوال الحروف ، دليل على
تفاوت أمزجتهم وبصائرهم^(٣) ، وضعف رويتهم في العلوم^(٤)
الحقيقية ، وكثرة انهماكهم في البحار الشهوانية^(٥) ، واستغراقهم
في كدورات^(٦) الأوهام الظنية ، وتلبسات القوة الخيالية .
فواحد يرضى عن نفسه أن يتصور قدم الحروف ، وآخر^(٧)
يقنع بأن يسمع حدوث الحروف من غير كشف وبيان عن
حقائقها وماهياتها ، وآخر يتصور أنها تارة قديمة وتارة محدثة .
ولاشك أن حكم الحروف ، وكلام الله تعالى قد ظهر عند
النفوس ، وفرغت العقول عنها وعن كیفيتها . ولكن وقع

-
- (١) ٢٢ ، الأنفال
(٢) الله تعالى في ج
(٣) وتفاوت بصائرهم في ج
(٤) علوم في أ
(٥) الشيطانية «إضافة» في ب و ج
(٦) ناقصة من ب و ج
(٧) واحد في أ

الأمر بين متكلم^(١) ظني ، ومتوقف حسي . وحقيقة الأمور وراء الحواس والظنون ، ولكن الغالب على بعض الناس لذة المحسوسات ، وعلى بعضهم قوة المظنونات ، وعلى بعضهم أغراض^(٢) الجدل ؛ فأعرضوا عن بيان العقل ، وتصاموا عن^(٣) استماع الكلام بالعقل ، فهلكوا بمقارنة الشياطين^(٤) . كما قال الله تعالى : « وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى »^(٥) . وقال سبحانه : « وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ »^(٦) .



-
- (١) متوقف حسي ومتكلم ظني في ب و ج
 (٢) اعراض في ب (٣) ساقطة من ج
 (٤) الشيطان في ب والعبارة في ج د فهكذا يقارنه الشيطان ،
 (٥) ١٢٤ ، طه (٦) ٣٦ ، الزخرف

الفصل الثالث

اعلم أن مرادنا من شرح القول والنطق والكلام تنبيه الغافلين المرتابين في كلام الله تعالى وكتابه الذي لا ريب فيه ، وتخويف الظانين بالله ظن السوء . وغرضنا في بيان^(١) تفاوت الأمزجة ، والترقي إلى هذه الدرجة ، تقرير^(٢) القول في أشكال الحروف وحقائقها ، وعذر الشاكين في كیفيتها ، فإن كل إنسان يتصور^(٣) على حد عقله ، ويفهم بقدر تصورده ، ويعبر عنه بمقدار فهمه .

ولا نشك^(٤) أن الحروف أشكال ، ونقوش ، وأمثلة من^(٥) حقائق روحانيات.

(٢) تقريب في ب و ج

(٤) ولا شك في ج

(١) ناقصة من أ

(٣) بتصرف في ج

(٥) و في أ

وأما شكل الحروف : فيوجد بحاسة البصر إذا نقش على الألواح ، ويدرك بحاسة السمع إذا قيل بالأسنة^(١) .
 وأما أمثال^(٢) الحروف : فهو ما يخرج^(٣) من الخارج ، وينتقل^(٤) من^(٥) الفكر إلى القول .

وأما حقيقة الحرف^(٦) : فصورته المجردة المركوزة^(٧) في ذهن الانسان وحفظه ، وتلك الصورة لطيفة معراة عن الشكل الحسي^(٨) والنقش الجسمي^(٩) . فالألف^(١٠) لطيف بصورته في حفظ الانسان ، وكثيف بعد قبول الشكل والنقش . وذلك أن الألف صورة لطيفة ، معراة عن الشكل الحسي ، والنقش الجسمي . فالألف صورة لطيفة روحانية في غاية الدقة^(١١)

-
- | | |
|---|---------------------|
| (١) بالأسن في ج | (٢) مثل في ج |
| (٣) يخرج في أ | (٤) تنتقل في أ |
| (٥) عن في ج | (٦) الحروف في ب |
| (٧) المذكورة في ج | (٨) أشكال الحس في ج |
| (٩) ساقطة من ج | |
| (١٠) في ج عبارة زائدة « وذلك أن الألف صورة لطيفة روحانية في غاية كذا والطول الذي لا عرض له يستخرج شكلاً ويسمى حينئذ خطأ » . | |
| (١١) ناقصة من ب | |

والطول^(١) الذي لا عرض له : يخرج^(٢) عنه شكل ويسمى حينئذ خطأ ، وهو منبع الحروف كالواحد في علم الحساب أصل الأعداد ، والخط^(٣) في علم الهندسة أصل الاشكال . وأما الألف المحسوس المرقوم المنقوش^(٤) ، فهي حكاية تلك الصورة اللطيفة الروحانية ، ولا يكون هذا ذلك ؛ لأن هذا^(٥) الشكل والنقش لو يحى أو يحرق أو يغسل لا يبطل تلك الصورة التي في الأرواح .

فقد بان بهذا^(٦) أن حقيقة الحرف^(٧) هي الصورة اللطيفة التي لا تنقش إلا^(٨) على ألواح الأرواح ، ودفاتر القلوب ، في خزائنها^(٩) الحافظة التي في مؤخر الدماغ ، والقوة الذاكرة تصرفها ، فتعين لكل حرف صورة تخصه^(١٠) بلا امتزاج ولا غلط ولا وقوع آفة .

-
- | | |
|-----------------|------------------------------|
| (١) الطول في ب | (٢) يستخرج في ب |
| (٣) خط في أ | (٤) المنقوش المرقوم في ب و ج |
| (٥) ساقطة من ج | (٦) ناقصة من ب |
| (٧) الحروف في ج | (٨) ساقطة من ج |
| (٩) غزاتها في أ | (١٠) محضة في أ |

فالحروف في حال التفكير لطيفة ، وفي حال التذكر كثيفة .
فهي كثيفة بوجه ، لطيفة بوجه ، فإذا كتبت ورقمت تكون
في الدفاتر كثيفة بكل وجه ، والشيء الكثيف مركب يقبل
التحلل والفساد ، والقابل للكون والفساد متغير^(١) مضمحل غير
قائم بذاته .

وأما الشيء اللطيف بالحقيقة فهو فرد غير مستحيل ولا
مركب من مواد مختلفة ، بل هو جار في أصول النفوس ،
وجواهر القلوب ، دهرأ بعد دهر ، وقرناً بعد قرن.

فالحروف الحقيقية هي صور لطيفة روحانية^(٢) جارية^(٣) في
أفكار ذوي العقول ، وقلوب ذوي الأبواب بالانتقال الأفضل
لا^(٤) بالفساد الأخس . وقل ما تدرك هذه الرموز التي هي
كنوز الحقائق .

(١) عبارة « والقابل ... متغير » ساقطة من ج

(٢) روحانيات في أ (٣) جاريات في أ

(٤) ساقطة من ج

الفصل الرابع

اعلم أن القدم على وجوه : قدم بالزمان ، وقدم بالشرف^(١) ،
وقدم بالمرتبة ، وقدم بالمكان ، وقدم بالذات^(٢) .

فالقديم^(٣) الحقيقي الذي لا بداية لوجوده ، ولا نهاية لبقائه ،
هو الواحد الأحد ، الفرد الصمد .

وأما القديم^(٤) بالمرتبة : فهو جوهر العقل الكلي ، الذي هو
أول الموجودات — يعني المحدثات^(٥) — وهو قلم كلمات الباري تعالى ،
وهو قديم برتبة^(٦) ذاته ، ومحدث بنسبة خالقه .

وأما القدم^(٧) بالشرف : فهو قدم الإنسان على النبات والحيوان ؛
لأنه أقدم بشرف النطق .

(١) بالصرف في ج (٢) بالذوات في ج

(٣) فالقديم في أ (٤) القدم في أ

(٥) يعني المحدثات ناقصة من ج (٦) بمرتبة في ب و ج

(٧) القديم في ب

وأما القدم^(١) بالمكان : فثل مصر وييت المقدس ؛ فانها أقدم في موضعها^(٢) من سائر الأمكنة .

وأما القدم^(٣) بالزمان : فالأفلاك ؛ فانها^(٤) أقدم من الأرض وما^(٥) عليها ؛ لأن الزمان عدد حركات^(٦) الفلك^(٧) بعد الحصر ، والدهر حركات الفلك قبل العدد والحساب ، وهذا قيل إن الدهر أصل الزمان ، لان الزمان ممتد مع السفليات . والدهر ممتد مع العلويات . وكل للباري تعالى صفة ذاته ، وذاته قديمة بالحقيقة ، وبعض صفاته مثل ذاته في مرتبة القدم .

وأما القدم^(٨) بالشرف والمرتبة والزمان^(٩) فالنبوة^(١٠) الجارية في أشخاص الأنبياء عليهم السلام ، كجريان الشمس في برج^(١١) الفلك . والنبي^(١٢) أقدم بالشرف والمرتبة^(١٣) من سائر الناس ،

- | | |
|----------------------|---------------------|
| (١) القديم في ب و ج | (٢) ومنعها في ج |
| (٣) القديم في ب و ج | (٤) لأنها في ج |
| (٥) ومن في ج | (٦) حركة في ج |
| (٧) الأفلاك في ج | (٨) القديم في ب و ج |
| (٩) ساقطة من ج | (١٠) والنبوة في ج |
| (١١) بروج في ب | (١٢) فالنبي في ب |
| (١٣) في المرتبة في ج | |

«ومتكلم»^(١) بوحى الله تعالى وتأيد روح القدس ؛ فإنه :
 « ما ينطقُ عنِ الهَوَى ، إِنَّهُ هُوَ إِلَّا وَحْيُ يُوحَى ،
 علَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى » .

وإذا كانت ذات النبي ﷺ قديمة^(٢) بالمرتبة والشرف ، أي
 هو خير من الأمة ، وأقوى^(٣) في علمه^(٤) تعالى من غيره ،
 فكلامه وقوله أيضاً أقدم بالشرف من سائر أقاويل الناس .
 فالحروف الواقعة في القرآن لم تنسب إلى الله تعالى تنزيهاً له ،
 فلا نشك أنها متولدة من^(٥) نفس الشارع عليه السلام ، وجارية
 على لفظه المطهر المشرف ، وجميع حركاته وسكناته منورة بنور
 الحي القيوم القديم .

فاذن عبارات^(٦) الشارع قديمة باضافة قول الناس ، ومحدثة

(١) وهو في ب و ج

(٢) العبارة في ب و ج « وإذا كان النبي ﷺ قديماً » .

(٣) وأقدم في ب و ج (٤) علم الله في ب و ج

(٥) عن في ب و ج (٦) عبارة في ج

بنسبة كلام الله تعالى . ولهذا المعنى قال^(١) تعالى : « ما كُنْتُ
تَدْرِي ما الكتابُ ولا الإيمان^(٢) » بإضافة ذاته . فهو^(٣) عليه
السلام قال مع أصحابه : « أنا أعلمكم بالله ، وأفصحكم^(٤) ،
وأعقلكم^(٥) » . فاذن حروف القرآن قديمة بالمرتبة لأنها واقعة
في كتاب الله تعالى ، وأحكام الكلمات^(٦) الربانية جارية فيها ،
فن شرط التعظيم والإجلال ، تقديم حروف القرآن على سائر
كلام^(٧) الآدميين . فالحروف إذا تركبت وانتظمت وكتبت^(٨)
في المصاحف فحكمها حكم القرآن في الشرف والرتبة ، ويشرف^(٩)
كلام الله تعالى القديم عليها حتى لا يمسّه إلا المطهرون ، ويقال إنه
تنزيل من رب العالمين .

(١) قال الله في ب و ج (٢) ٥٢ ، الشورى

(٣) وهو في ب و ج (٤) وأفصح من نطق بالضاد في ب

(٥) ورد حديث أنا أفصح العرب من حديث أبي سعيد الخدري .

الغرافي الاحياء ٢ : ٣٢٤

(٦) الكلمة في ج (٧) ساقطة من ج

(٨) ساقطة من ج (٩) نور في ب و ج

حكى عن بشر الحافي رحمه الله ، أنه وجد كاغداً في
الطريق^(١) ، فيه مكتوب « بسم الله الرحمن الرحيم » ، فرفعه ،
وطيَّبه ، وحفظه مع نفسه ، فرأى الله تعالى في المنام فقال
له : رفعت اسمنا فرفعنالك ، وعظمته فعظمنالك . فظهر^(٢) عليه
من الخير والطريقة الحسنة ما هو مشهور بين المسلمين .



(١) في عبارة « كاغداً في الطريق » ، تقديم وتأخير في ب و ج

(٢) وظهر في ب و ج

الفصل الخامس

لما رأينا اختلاف الناس في حروف كتاب الله تعالى ،
قدمنا تحرير هذه الفصول على جميع الأصول ، وذكرنا فيها ^(١)
من كل فن شيئاً مختصراً يشبه المقدمة ، طلباً لحصول النتيجة .
وما ذكرنا شرح ^(٢) مخارج الحروف ، وكيفية حدوثها عن الهواء
في الخناجر احترازاً من تطويل الكلام ؛ وقد يوجد مفروضاً في
كتب ^(٣) المحققين .

وهذا القدر الذي كتبنا ^(٤) ، وذكرنا ^(٥) في هذه الأوراق ،
نخبة أسرار غير مكتوبة ، وإشارات ^(٦) مكنونة ، ورموز

-
- | | |
|-------------------|---------------------|
| (١) فيه في أ | (٢) يشرح في ب |
| (٣) كتاب في ب و ج | (٤) كتبناه في ب و ج |
| (٥) وذكرناه في ج | (٦) إشارة في ب و ج |

مستورة ، عبرنا عن كل سورة بآية ، واغترفنا من كل بحر
قطرة ؛ والعاقل الحر تكفيه الإشارة . فكم من عاقل كيس
ينال الخير من العلم^(١) القليل^(٢) ، ما لا ينال الجاهل^(٣) البليد
في^(٤) جميع العلوم عشر معشارها^(٥) ؛ وذلك فضل الله يؤتيه^(٦)
من يشاء .

فعليك أيها الطالب^(٧) الحريص أن تتأمل^(٨) هذا الكتاب تأمل
طالب متفكر ، لا تأمل حسود متعنت متكبر ، حتى ترى
العجائب ، وتنجو من الشوائب . ولا يحل أن يوضع الورد
بين الحمير ، وي طرح^(٩) الدر في فم الخنازير^(١٠) .

واعلم أنني ما كتبت هذا مفيداً واهباً ، بل كتبتة مستفيداً

(١) علم في ب و ج (٢) قليل في ب و ج

(٣) ساقطة من ج (٤) من في ج

(٥) عشر في أ (٦) يؤتي في أ

(٧) الأخ في ب و ج (٨) يتأمل في أ

(٩) أو يطرح في ب

(١٠) الخنزير في ب . وهنا تنتهي مخطوطة ج .

طالباً . وغرضي من هذا عرض هذا الحال على ذوي الأبصار
والأسرار ، فالأسرار واجب صرفها عن الأغمار . أعيذك^(١) بالله ،
وأوصيك^(٢) في الله ، وآمرك أيها الطالب بتقوى الله . فاعرف ،
والزم ، وأنعم ، وأكرم ، وأحسن ؛ فان الله يحب المحسنين^(٣)
وإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون .

كل الكتاب بحمد الله العزيز الوهاب



(١) أعيذك في أ

(٢) أوصيك في أ

(٣) العبارة « يجب ... الله » مأقطة من ب .

الفهرس

الصفحة

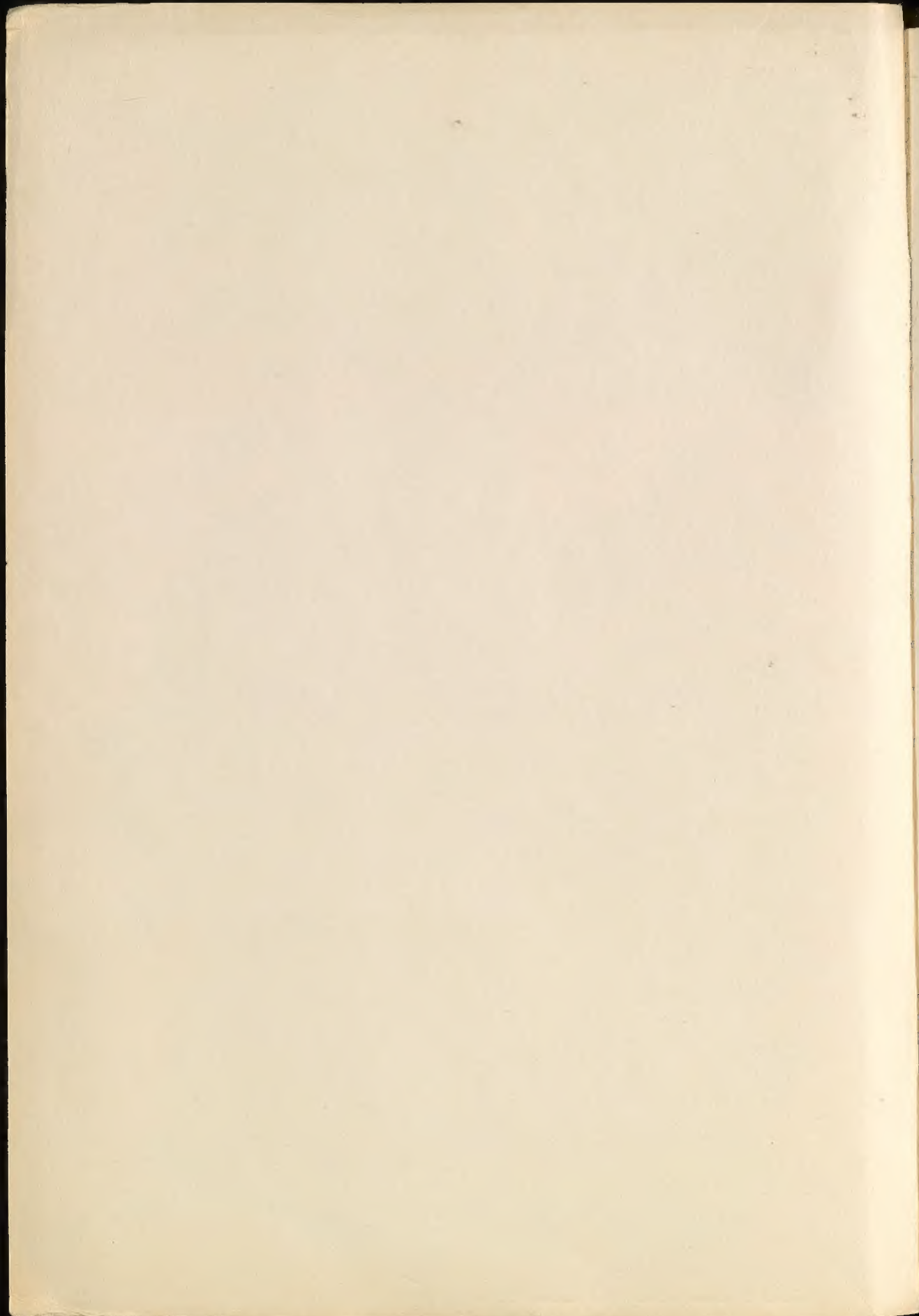
٣	تقديم ... بقلم عبد الكريم العثمان
٢٠	كتاب المعارف العقلية
٢٤	الباب الاول في النطق وما يتعلق به
٢٤	الفصل الأول في النطق
٢٧	الفصل الثاني
٣٥	الفصل الثالث
٤٢	الفصل الرابع
٤٧	الفصل الخامس
٤٩	الباب الثاني في الكلام والمتكلم
٤٩	الفصل الأول في الكلام وماهيته وحقيقته
٥٦	الفصل الثاني
٦١	الباب الثالث في القول
٦١	الفصل الأول في شرح القول
٦٦	الفصل الثاني في غرض القول وحقيقته
٧٠	الفصل الثالث
٧٣	الباب الرابع في الكتابة
٧٣	الفصل الاول في كتابة المخلوقات
٧٩	الفصل الثاني في الكتابة المنسوبة إلى الله تعالى وأحوال كتبه

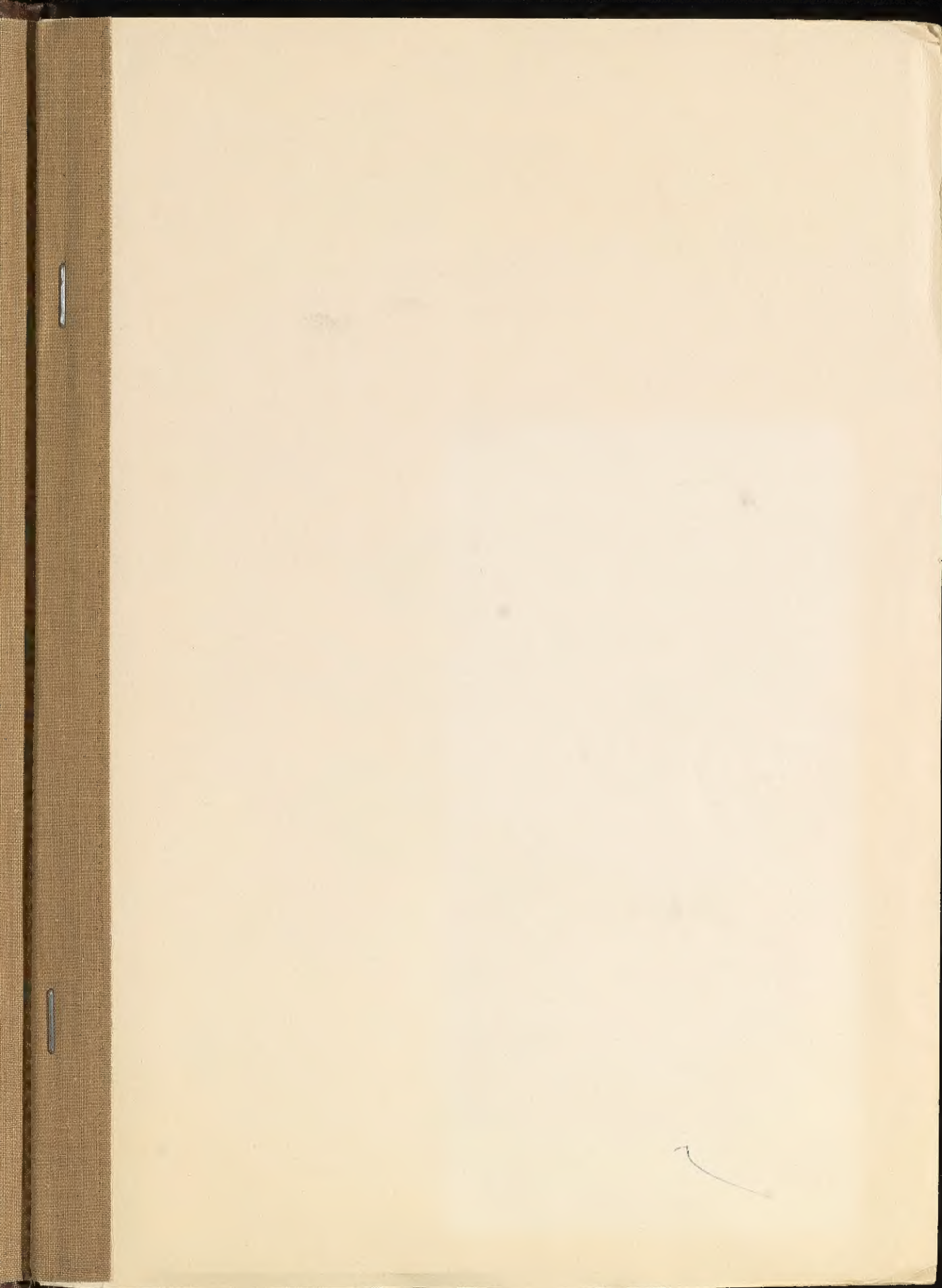
الصفحة	
٨٧	الباب الخامس في الغرض المطاوب
٨٧	الفصل الأول
٩٣	الفصل الثاني
٩٩	الفصل الثالث
١٠٣	الفصل الرابع
١٠٨	الفصل الخامس
١١١	الفهرس

تصويبات

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢١	٦	الحسن	الحس
٣١	٩	لكتاب	الكتاب
٤٣	١٨	أورد	أورده
٨١	٣	بالتفهم	بالتفهم







893.7G34
T33

07372760

APR 10 1964

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE



CU58869492

893.7G34 T33

Maarif al-aqliyah /

893.7G34 - T33